قضايا العالم الإسلامي في أشعار إقبال وأفكاره

دكتورة/ فوزية عبد العزيز صبَّاح(*)

يُعد محمد إقبال من أكبر شعراء الإسلام ومفكريه في العصر الحديث، وقد اتسمت شخصيته بالتنوع والثراء؛ حيث اكتسب هذه الصفات من المجالات العديدة التي خاضها، فهو تارة محامي يدافع عن الحق، وتارة يمتهن التعليم ليعلم النشء، وتارة أخرى سياسي يشارك في حل قضايا وطنه، وهو في كل الأحوال فيلسوف ومفكر وشاعر يعبر عن قضايا الأمة الإسلامية. ولم تكن عظمة إقبال الشعرية قائمة على موهبته الشعرية بقدر ما كانت في موضوعات شعاره، فهو رجل المثل العليا والمعاني الإنسانية.

اهتم إقبال بالعالم الإسلامي وقضاياه التي حاول عرضها من خلال أشعاره بأسلوب متقن نال إعجاب مفكري العالم بعد ما نال رضا مسلمي الهند ومسلمي العالم الإسلامي ومفكريهم، ولم يكن هدف إقبال من مناقشة تلك القضايا نيل استحسان القراء، ولكنه اسهدف عرض أفكاره التي كونها من خلال تربيته وتعليمه وقراءاته ودراساته سواء في الهند أو في أوربا وآمن بها كل الإيمان، وأراد من خلالها تحديد مشاكل العالم الإسلامي، ومحاولة حلها من خلال منطق إسلامي سليم ومنظور حديث متطور، فكانت أشعاره بمثابة الشعلة التي أضاءت الطريق للمسلمين في كل أنحاء العالم الإسلامي.

ومن خلال أشعار إقبال ونشاطاته السياسية والاجتماعية والفكرية استطعت استخلاص تلك الدراسة التي تهدف إلى عرض قضايا العالم الإسلامي التي كانت سببًا في تأخره وابتعاده عن مسيرة الحضارة الحديثة والتي تتمثل فيما يلي:

أولاً: الاستعمار:

عانى العالم الإسلامي من الاستعمار القائم على أساليب الإخضاع الشامل باستخدام القوة والحملات العسكرية لتحقيق الهيمنة التامة ونهب ثروات ومواردالدول واستغلال شعوبها استغلالًا مباشرًا[1]. وبسبب جسامة الاستعمار على صدور الشعوب المسلمة شاع القلق والاضطراب في حياتهم، وتطلعوا إلى تحطيم الحواجز والحدود، وفهر الصعاب في سبيل الحرية والاستقلال. وقد رحب إقبال بكل فكرة ثائرة تنشد الاستقلال، وبكل نهضة صاعدة تحطم القيود

(*) أستاذ اللغة الأردية وآدابها بكلية الآداب جامعة المنصورة

(١) (الاستعمار) ٢٠١٦/٨/١ www.tassilialgerie.com

وتمحو الجمود والخمول[1]، ثم حاول في أشعاره حض الشعوب على طلب الحرية والاستقلال فأنشد في منظومة (الحياة):

الحياة في العبودية تنكمش حتى تصبح مثل النهر الناضب المياه
وهي في الحرية كبحر بلا حدود[2]

كان إقبال يطمح للشرق من خلال تلك الأفكار الثائرة وتلك الأشعار أن يتخلص من الغرب، ويخرج من قبضته الحديدية، كما كان يدعو المسلمين أن يتحرروا من سيطرة المادة التي جعلت من الغرب إلهًا، وخلعت من الدين فضائله، فأصبح الإلحاد غشاوة جعلت نهار المسلمين أشد غشاوة من ليلهم[3].

وعندما انكشف وجه الاستعمار القبيح حاول تحسين صورته بنشر بعض النظريات المادية ليبعد العالم الإسلامي عن دينه، تلك النظريات التي اكتشفها إقبال حينما كان يدرس في أوربا، وشعر أن الدول الأوربية تريد أن تقضي على وحدة العالم الإسلامي القائمة على الدين بنشر نظريات القومية والوطنية، واختراع قوانين زائفة صورها بأنها دعائم الحرية لأجل السيطرة على الأقطار الإسلامية وإخضاعها[4]. وقد كشف إقبال الأقنعة المزيفة عن وجه النظم والسياسات الغربية حين قال (إن سياسة أهل الغرب هي التي جرَّت المصائب والويلات على شعوب البشرية بدلًا من أن تكون مصدرًا لرقيها وتقدمها ورفاهيتها)[5]. وفي منظومة (الوطنية) أوضح إقبال حيل المستعمر الزائفة التي حاول من خلالها السيطرة على العالم الإسلامي فقال:

إن الخمر والكأس في هذا العصر يختلفان عما كانا عليه من قبل
وقد ابتدع الساقي طرقًا جديدة للطف والظلم
لقد بني المسلم لنفسه أيضًا حرمًا آخر
وجعل آذر الحضارة الناس ينحتون أصنامًا أخرى كثيرة

(١) د. خالد أسدي، محمد إقبال – قصائد مختارة ودراسات، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠١٢ ص٤٣

(٢) بندگی میں گھٹ کے رہ جاتی ہے اک جوئے کم آب اور آزادی میں بحر بیکراں ہے زندگی
(علامہ اقبال ، بانگ درا، Dr.A Q.Khan, NI&BARmHI, Chairman, Rawalpindi) ص٢٥٥

(٣) إيوان إقبال، مختارات من شعره نظمها شعرًا الصاوي علي شعلان، اللجنة البكستانية المصرية للاحتفالات المئوية بذكرى إقبال ١٩٧٧ ص ١٠١

(٤) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٢٩

(٥) د. خالد أسدي، محمد إقبال ، مرجع سابق ص ٣٧ ، إيوان إقبال، مرجع سابق ص ٦٢

والوطن هو الإله الأكبر من بين هذه الآلهة الجديدة
فرداء هذا الإله هو ثوب كفن الدين[1]

وهكذا حاول الاستعمار خداع الشعوب باستخدام حيل وأسالـيب جديدة لم يتعود عليها أهل الشرق مما حدا بإقبال إلى أن ينظم منظومة بعنوان (حكمة الطغاة)، وربما كان العنوان مثيرًا لأنه كيف يضفي إقبال على الطغاة صفة الحكمة، ولكنه أراد توضيح معنى مصطلحات الحكم في إطار من مصطلحات التصوف قصدًا إلى بيان دسائس الاستعمار لتدمير حياة الإنسان والقضاء على حريته. وقد عرَّفنا في هذه المنظومة بسياسة المستبدين والمستغلين من أولئك الجبابرة الغاشمين الذين يلتهمون حقوق الشعوب بأنياب المطامع، ولا يهمهم شيء غير مصالحهم وقضاء مآربهم. وفي تلك المنظومة أوضح إقبال أن للطغاة حكمة وسياسة تتمثل في الإغراء ببعض الماديات الزائفة وقتل روح الإيمان وإهدار الثقة بالنفس، كما أنهم لم ينسوا أن يسمموا مناهج التعليم، وجعلوا من المدارس والمعاهد أداة لصنع السلاسل والقيود اللامعة التي تخلق من طلابها وشبابها خدام اليوم وعبيد المستقبل، كما لام إقبال على الذين وقعوا أسرى وسقطوا صرعى في أحبولة الغاصب ومكايده، واستسلموا لإغرائه تارة، وإرهابه تارة أخرى فقال:

قدمت حكمة النبي للعيان
والمكر والخداع حكمة الطغاة
تبقي على الإنسان جسم حيوان
وتسلب الروح كرامة الحياة
وسائل التهذيب في هذا النظام
سلاسل الأسرى وأغلال العبيد
كما يرى السيد ينقاد كالغلام
فلا يرى ولا يعي ولا يريد[2]

(١) اس دور میں مے اور بے جام اور بے جم اور
ساقی نے بنا کی روشن لطف و ستم اور
مسلم نے بھی تعمیر کیا اپنا حرم اور
تہذیب کے آزر نے ترشوائے صنم اور
ان تازہ خداؤں میں بڑا سب سے وطن ہے
جو پیرہن اس کا ہے وہ مذہب کا کفن ہے
(علامہ اقبال، بانگ درا، مرجع سابق ص١٥٦)

(٢) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ١٩، ٢١

وعندما تبين للمستعمرين أن الشعوب لا يمكن أن تنخدع إلى الأبد، وأن المؤمن لا يُلدغ من جحر واحد مرتين، راحوا يوهمون طلاب الاستقلال أن الحرية تعرس الشعوب لاستعمار من دولة مستبدة أقوى[1] فأنشد إقبال:

صور الغاصب عدلًا ظلمه
ما هو التفسير للعدل الجديد
زاد في التحرير معنى أنه
يحكم القيد لتحرير العبيد
قال للطائر إذا رُمت الأمان
فاتخذ من منزل الصياد وكرًا
ليس في الأجواء للطير مكان
لا ولا تأمن في الصحراء نسرًا[2]

ولم تنته حيل المستعمر، فبعد أن وعد الشعوب المسلمة بالاستقلال بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في حال ما وقفت مع مستعمريها، نكصوا العهد وتراجعوا عن الوعود وكونوا تشكيلًا زائفًا جديدًا سموه عصبة الأمم، وكان الهدف هو احتيال الغاصب لوأد الحريات، وإهدار الكرامات الإنسانية، فأنشد إقبال:

ضوار السباع التقت في جنيف
لطمس الهوى والتهام العباد
وقد اقتسموا كرة الأرض نهبًا
وهم نحو تقسيمها في اتحاد
يقولون هذي بلادي لكم
ونحن لنا كل تلك البلاد[3]

واستكمالًا لمكائد الاستعمار أشعل الحرب في مناطق عديدة، وحاول إيقاظ الفتن النائمة في أخرى، فعندئذٍ وُجِدت مناطق نفوذ جديدة بالنسبة له، فقال إقبال:

وما برح الغرب يختال تيهًا ... ويحترف الكيد للعالمين

(١) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٣٧
(٢) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ٦٢، ٦٣
(٣) المرجع السابق ص ٨٠

لينشر في الكون إلحاده ... وينشئ دنيا على غير دين
أرى مشكلات بني آدم ... يزيد بهم شرها كل حين
أرى الغرب يستغل البرايا ... كما يشتهي دون ميل وقال
أرى الأدميين مثل القطيع ... فهم لفم الذئب رزق حلال
لقد حان تغيير دنيا بها ... نرى العدل أمرًا بعيد المنال
هنا ثورة وهنا فتنة ... بهم نارها أبدًا في ازدياد[1]

أيضًا في منظومة (الوطنية) وضح إقبال أن الاستعمار لم يكتف باستعمار الأمم، ونهب الثروات، بل حاول الوقيعة بينها فذكر:

نشبت الوقيعة والبغضاء بين الأمم
والاستعمار هو المستفيد من التجارة[2]

وقد حذر إقبال من محاكاة المستعمر الذي ترك خلفه عملاءه ليمضي بهم على كل تراث روحي، فإقبال لا يريد أن يفنى الشرق، ويذوب في شخصية المستعمر، بل يريد أن يسير قدمًا، ويحطم قيود التقليد الغربي، ويندفع في طريقه لا يبالي بأي حائل يعترضه[3]. وعند إقبال يعبر عن هذه الفكرة في منظومة (شروق الإسلام) فيقول:

الإنسان صيد هزيل للسلطة حتى الآن
وما أدهى أن يكون الإنسان صيادًا لإنسان آخر
بريق المدنية الحديثة تبهر العيون
ولكن هذه الصناعة البراقة ليست إلا مطعمة بالأحجار الزائفة[4]

أيضًا نصَّب المستعمر حكام عملاء لهم حتى يستطيعوا أن يحكموا الشعوب، ويسيطروا عليها من خلال أفراد ليس لديهم أي ولاء للوطن ولا للشعب، بل كل ولائهم للمستعمر الذي أجلسهم

(١) المرجع السابق ص ٧٨، ٨٠
(٢) اقوام جہاں میں ہے رقابت تو اسی سے ... ہے مقصود تجارت تو اسی سے
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص١٥٦)
(٣) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٤٣، إيوان إقبال، مرجع سابق ص ١٠١
(٤) ابھی تک آدمی صید زبون شہریاری ... قیامت ہے کہ انساں نوع انساں کا شکاری ہے
نظر کو خیرہ کرتی ہے چمک تہذیب حاضر کی ... یہ صناعی مگر جھوٹے نگوں کی ریزہ کاری ہے
(علامہ اقبال، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٧٠)

في مقاعد السلطة، وزيف لهم نظام حكم شبيه بالنظم الأوربية ليخدع الشعوب، فكتب إقبال في منظومة (السلطة):

الحكم لا يليق إلا للذات التي لا نظير لها
فهو الحاكم الوحيد والباقي كلهم أصنام آذر
النظام الجمهوري الأوربي هو النغمة القديمة
التي لا يوجد في طياتها الا صوات القيصرية
يرقص عفريت الاستبداد تحت رداء الجمهورية
وأنت تفهم أنه حورية الحرية الجميلة
مجلس النواب والإصلاحات والمراعاة والحقوق
والطب الغربي طعمه حلو أما أثره فيجلب النوم
كم يوجد كثير من الحماس في كلام أعضاء المجلس
وهذا أيضًا من مكائد الرأسماليين[1]

ولم يكتف المستعمر بنهب ثروات الشعوب، ولكنه ساعد على وجود طبقة من الرأسماليين والإقطاعيين يقومون بنهب ما تبقى من خير للوطن فوصف إقبال هذه الطبقة في ديوان (هدية الحجاز) قائلًا:

عالمك خاضع لعدد من التافهين
أهله في قيد عدد من اللا إنسانين
الإنسان الماهر يقتل نفسه في المصانع
لكي يعيش عدد من النسور[2]

هنا أكد إقبال أن للاستعمار أذناب يحكمون الوطن ويذلون المواطنين، وهم الرأسماليين الذين ليس لديهم أي إنسانية، كما أنهم تافهين لا مؤهلات لديهم سوى الأموال التي نهبوها من الشعب،

(١) سروری زیبا فقط اس ذات بے ہمتا کو ہے — حکمراں ہے اک وہی باقی بتان آزری
ہے وہی ساز کہن مغرب کا جمہوری نظام — جس کے پردوں میں نہیں غیر از نوائے قیصری
دیو استبداد جمہوری قبا میں پائے کوب — تو سمجھتا ہے یہ آزادی کی ہے نیلم پری
مجلس آئین و اصلاح ورعایات وحقوق — طب مغربی میں مزے میٹھے اثر تلخ و تاب آوری
گرمی گفتار اعضائے مجالس الامان — یہ بھی اک سرمایہ داروں کی ہے جنگ زرگری
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٥٧)

(٢) محمد إقبال، هدية الحجاز، ترجمة د. سمير عبد الحميد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢ ص ٢٦.

ورغم أن العمال يتسمون بالمهارة إلا أنهم يتفانون في العمل في المصانع لكي يعيش الرأسماليين في غرور ورفاهية.

ونتيجة للقلق الذي أحاط بالشعوب نشبت الثورات التي هي ثمرة الغليان الذي تجيش به النفوس المحرومة والشعوب المظلومة التي تتحرك بعد سكون، وتنتفض بعد خمول لاسترجاع مجدها الغابر ومكانتها الدارسة، فرحب إقبال بكل فكرة ثائرة تنشد الاستقلال، وبكل نهضة صاعدة تحطم القيود وتمحو الجمود[1].

ولم يكتف إقبال بالدعوة إلى الثورة والجهاد، بل قام بتخليد شهداء المسلمين الذين كافحوا ضد الاستعمار في أشعاره، فذكر في منظومة (خلود الشهداء) شهداء طرابلس تلك الحرب التي نشبت سنة ١٩١١م وحاول من خلالها مسلمي ليبيا الزود عن بلادهم ضد الاحتلال الإيطالي[2] فقال:

وطافت بأحلامي ضحايا طرابلس
وأبناء أبطال بها شرفاء
لقد بذلوا في أرضهم ثمن العلا
لتحريرها من عصبة الدخلاء
لقد سجلوها قصة قرمزية
مسطرة أمجادها بالماء[3]

ثم عاد إقبال وكرر نفس الفكرة في منظومة (في حضرة الرسول ﷺ) حين أكد على سمو قضيتهم وهو يخاطب رسول الله ﷺ:

مع هذا كله فإني أهدي إليك بقارورة
تحتوي على الشيء الذي ليس له مثيل في الجنة
يشع منها كرامة أمتك
فهذه القارورة تحتوي على دماء شهداء طرابلس[4]

---

(١) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ١٠٠
(٢) محمد أمد خان، اقبال كا سياسى كارنامه، اقبال اكادمى، لاہور ١٩٧٧ صر ٦٣
(٣) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ١٢٦
(٤) مگر میں نذر کو اک آبگینہ لایا ہوں — و چیز اس میں ہے، جنت میں بھی نہیں ملتی
جھلکتی ہے تری امت کی آبرو اس میں — رابلس کے شہیدوں کا ہے لہو اس میں
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٩٣)

ولأن شهداء التحرير كانت لهم مكانة سامية في ذهن إقبال، قام بنظم منظومة بعنوان (فاطمة بن عبد الله) وهي المنظومة التي تبعث على فخر المسلمين، ففاطمة هي الفتاة التي كانت تسقي المجاهدين في حرب طرابلس، أي أنها تجاهد بلا سيف ولا رمح - حتى استشهدت ولذا يجب أن تكون فاطمة قدوة حسنة للمسلمين الغافلين[1]. وقد بدأ إقبال منظومته بالبيت التالي:

يا فاطمة أنتِ كرامة الأمة المرحومة

وذرات ترابك كلها معصومة من الآثام[2]

واسترسل إقبال في تلك المنظومة في وصف شجاعة فاطمة وتضحياتها.

ورغم وصف إقبال للأمة الإسلامية في البيت السابق بالمرحومة؛ إلا أن ذلك لا يعني أنه فقد الأمل في يقظتها، بل دعا الشعوب الإسلامية أن يعتمدوا على أنفسهم ويخلقوا في أرواحهم قوة الإيمان وروح اليقين والثقة بنصر الله لمن آمن وعمل صالحًا[3]. وقد تمنى إقبال أن يعود الأسد الإسلامي قويًا بإسلامه مثلما كان من قبل فذكر في منظومة (مارس ١٩٠٧):

والأسد الذي قلب مملكة الروم بعد خروجه من الصحراء

سمعت من القديسين أنه سينتفض مرة أخرى[4]

وهكذا رأينا أنه رغم كل ما حدث للأمة الإسلامية من مآسي إلا أن إقبال لم ييأس، بل كان الأمل يحدوه خصوصًا في ظل بعض الأحداث الإيجابية التي حدثت للأمة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى والتي وجد فيها إقبال بارقة أمل؛ حيث فلتت الخلافة العثمانية الضعيفة من الموت رغم هزيمتها في الحرب، وأنقذ رضا شاه إيران من براثن الروس والإنجليز، واستحكمت قبضة ابن سعود على نجد والحجاز فاعتبره إقبال أملًا للمسلمين. وفي مصر كان سعد زغلول قد بدأ حركة التحرير، بينما أهل الشام والعراق وفلسطين يكافحون لنيل حرياتهم من المستعمر الغاصب مما جعل

(١) يوسف سليم چشتي، شرح بانگ درا، تيسرا اديشن، عشرت پبلشنگ ہاوس، لاہور ١٩٥٢ ص٤٠٨، ٢٠٩

(٢) فاطمہ ! تو آبروئے امت مرحوم ہے ذرہ ذرہ تیری مشت خاک کا معصوم ہے
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢١٠)

(٣) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ٦٨

(٤) نکل کے صحرا سے جس نے روما کی سلطنت کو الٹ دیا تھا
سنا ہے یہ قدسیوں سے میں نے وہ شیر پھر ہوشیار ہوگا
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص١٣٧)

إقبال يرى أن هناك دماء حارة جديدة تندفع في شرايين الأمة الإسلامية[1]. وهكذا كانت فلسفة إقبال فلسفة أمل وعمل وجهاد وإقدام ودعوة وعزة وكرامة وحرية فكانت مدد للأمم المجاهدة لنيل حريتها وكرامتها، وبعثت فيها النور والنار[2].

ثانيًا: الاستيطان:

لم تكتف الدول الغربية باستعمار الشرق وإذلال شعوبه، بل ارتكبت ما هو أفظع من ذلك وهو توطين مجموعة من العصابات الصهيونية في فلسطين؛ حيث لم يكتفوا بنهب الثروات، بل طمعوا في الأرض والوطن[3].

وقد فهم إقبال القضية الفلسطينية، وتأثر بها، وتفاعل معها، ولذا أكد أن قضية فلسطين قضية إسلامية بحتة؛ حيث إن مطامع الاستعمار لم يُكشف عنها النقاب إلا بعد تقرير لجنة التقسيم، وما كان إعلان الإنجليز عن الوطن القومي لليهود في فلسطين إلا وسيلة من وسائل الدهاء والتغرير لأن بريطانيا كانت تبحث عن مكان تستطيع أن تحكم منه السيطرة على جميع المواطن المقدسة للمسلمين، وفلسطين قلب العروبة، وهي أقرب مكان يتيسر لهم منه الإشراف على كل دولة إسلامية بها مقدسات، وكل ما يبدو من تظاهر بالعطف على العرب، ما هو إلا دعاية كاذبة. وفي ديوان (ضرب كليم) قام إقبال بعرض سياسة الشرق والغرب، وأعجب ما فيه نبوءته بما يكون لليهود من سيطرة على أوربا وأمريكا وهو قد نظر إلى الحوادث نظرة عارف خبير حين قال:

دخان المصانع في الغرب داج
فواديه ليس بأهل الانجلي
رأيت حضارته في احتضار
تموت اعتباطًا وما الموت يُملي
فليس غريبًا تولي اليهود
كنائسه بعد هذا التولي

(١) محمد احمد خان، اقبال كا سياسى كارنامه، مرجع سابق ١٩٧٧ ص ٩٤، ٩٥

(٢) د. عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مطبوعات باكستان، د.ن، ص٣٦.

(٣) (من تصفية الاستعمار التقليدي إلى الهيمنة الأحادية والتواطؤ الدولي) ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٥م.

https:/netency.blogspot.com

وما من شك في أن الشاعر بيَّن استحكام اليهود في الغرب حتى سيطر على كنائسهم ودينهم. وفي ذلك نبوءة لإقبال تذكرنا بمدى سيطرة اليهود على كنائس أوربا حتى تلاعبوا بالكتاب المقدس والعقائد المسيحية الأصيلة وقاموا بتبرئة اليهود من دم المسيح مما أثار جدلًا عنيفًا وانقسام بين المسيحيين[1].

وبعد ازدياد نفوذ اليهود على فلسطين وسيطرة قبضتهم النجسة عليها وخصوصًا على المسجد الأقصى، لم يكتف إقبال بالأشعار للتعاطف مع القضية الفلسطينية، بل شارك في جميع الاجتماعات والمؤتمرات التي عُقِدت في شبه القارة الهندية بشأن فلسطين وأيد الفلسطينيين تأييدًا كاملًا[2].

وقد عقد مسلمي الهند جلسة احتجاجية في ٧ سبتمبر سنة ١٩٢١م بلاهور برئاسة إقبال، فكانت جلسة عظيمة وجه من خلالها إقبال رسالة إلى الحاضرين يبلغهم بشعوره تجاه القضية الفلسطينية، منددًا بالظلم الذي أصاب الكيان العربي في هذه المحنة، داعيًا أن نتخذ سبيلنا لإرغام بريطانيا على الوفاء بتعهداتها للعرب لأن تقسيم فلسطين ينطوي على جور وظلم، ورأى أن يقوم العرب بدور كبير لإفهام الدول أن قضية فلسطين ليست قضية فئة ولا جماعة ولا مقاطعة، بل هي قضية العرب والعالم الإسلامي بأسره، وأننا لو نظرنا إليها في ضوء تاريخ بني إسرائيل أنفسهم لوجدنا أن شأن اليهود في فلسطين قد انتهى وانطوت صفحاته إلى الأبد منذ الساعة التي دخل فيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وحرر هذه البلاد أي منذ ثلاثة عشر قرنًا[3].

وفي ديسمبر سنة ١٩٣١م عُقِد مؤتمر العالم الإسلامي في بيت المقدس بفلسطين، وكان الهدف من هذا المؤتمر بذل الجهد لتعاون المسلمين، وتقوية أواصر الأخوة الإسلامية الصحيحة، والاتجاه نحو الفرائض الإسلامية، وإنقاذ الدين الإسلامي من تيار الإلحاد، ونشر الحضارة الإسلامية، وكانت هذه الأهداف عزيزة على قلب إقبال مما جعله يشارك فيه، وانعقدت الجلسة الافتتاحية في ٦ ديسمبر وهي التي تلي فيها إقبال تقريرًا مختصرًا ثم شكر الداعين لعقد هذا المؤتمر، وفي اليوم الثاني تم انتخاب السيد/ أمين الحسيني رئيسًا للمؤتمر وإقبال نائبًا للرئيس. وفي هذا المؤتمر ظهر اقتراح بإقامة جامعة إسلامية جديدة في بيت المقدس، ولكن إقبال عارض هذا الاقتراح وقال أنه يجب إنشاء

(١) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ١٣٧، ١٣٩

(٢) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٣٨

(٣) محمد احمد خان، اقبال كا سياسى كارنامه، مرجع سابق ص ٤

جامعة على طراز إسلامي تجمع بين القديم والحديث على أن يكون مقرها القاهرة أو طهران أو المدينة المنورة، ولكن القدس معرضة للخطر الصهيوني، وفي هـ ا المؤتمر أكد إقبال أن الإسلام يحوطه الخطر بسبب الإلحاد المادي ونشر فكرة القومية[1].

ولسيطرة القضية الفلسطينية على ذهن إقبال وفكره كتب بعض الرسائل في هذا الشأن، فكتب إلى مؤسس باكستان محمد علي جناح في إحدى رسائله (إن مشكلة فلسطين بدأت تتعقد، وبدأ المسلمون يتأثرون بها تأثيرًا عميقًا، وأنا شخصيًا مستعد أن أُسجن أ ـ أستشهد في سبيل فلسطين)[2].

أيضاً في رسالة أخرى نجد إقبال يعرض صحيفة من الحقائق و البراهين التاريخية حين كتب أنه (إذا كان لليهود أن يتحدثوا عن أرض لهم في فلسطين فلِم لا يطالب العرب بوطن أجدادهم في أسبانيا والأندلس)[3].

كما كتب في رسالة ثالثة (أنه ليس لليهود أي حق في فلسطين لأنهم كانوا قد غادروها بطيب خاطر منذ آلاف السنين، وأن شعوب الغرب لم تنصف المسلمين أبدًا بشأن قضية فلسطين).

وإقبال يعرف جيدًا أن الغرب لا يمكن أن ينصف المسلمين لأن المرابين اليهود يتدخلون في النظم الأوربية كلها، لذا لا يمكن أن يؤيد الأوربيون المسلمين في هذا الشأن، بل هم دائمًا ينحازون إلى الصهاينة[4]، رغم أن فلسطين لم تكن ميراثًا لإنجلترا حتى تتصرف في أمرها على هواها، إنما هو مجرد الانتداب الذي اقترحته عصبة الأمم، تلك العصبة التي ليست سوى منظمة إنجليزية فرنسية أُنشِئت لتقسيم الدول العربية والإسلامية[5]. وفي ديوان (ضرب كليم) وجه إقبال منظومة إلى عرب فلسطين ليشد من أزرهم، ويوضح لهم مساوئ المستعمرين والمكائد التي يحيكونها من خلال اجتماعاتهم في العواصم الأوربية، كما يوضح لهم مدى سيطرة اليهود على الدول الأوربية قائلًا:

ما زال الزمان حتى الآن لم ينته من حرقته
واعلم أن تلك النار نائمة في وجودك وكيانك

(١) (محمد إقبال) www.ur.wikipedia.org 21/6/2016
(٢) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٣٧
(٣) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ١٣٦
(٤) د. خالد أسدي، محمد إقبال ، مرجع سابق ص ٣٨
(٥) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ١٣٨

ودواؤك ليس في لندن ولا جنيف

فوريد الغرب في قبضة اليهود

سمعت أنه في تربية الذات ومتعة الظهور

نجاة الأمم من العبودية[1]

وأخيرًا وجه إقبال نصيحة إلى الشعوب العربية ألا تلتمس انتصارها في فلسطين اعتمادًا على أيد عاجزة فقيرة، بل يجب أن تُقدر أن محنة فلسطين إنما هي امتحان لا يقتصر على العرب، بل يعم جميع أمم الشرق والإسلام في قارتي آسيا وأفريقيا، وهذا الابتلاء العظيم يتجلى فيه الاعتماد على النفس[2].

ثم وجه إقبال خطابة إلى الأمة الإسلامية بأكملها أن تنهض وتستيقظ من سباتها وغفلتها، وتوحد صفوفها بالتمسك بعقيدتها والتشبث بمبادئها السليمة، ولا تتوقع من الشعوب الأوربية أي إنصاف أو عدل، وإنما تتوكل على الله ثم على قوتها العسكرية، وتزود نفسها بالأسلحة والعتاد متبعة في ذلك خطى القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي، ثم تقوم لتحرير أرض فلسطين من براثن الصهاينة[3].

ثالثًا: التخلف:

يُعد التخلف الذي يسود المجتمعات الإسلامية أخطر التحديات الداخلية التي تواجه العالم الإسلامي، وهذا التخلف ليس تخلفًا على المستوى المادي فحسب، وإنما هو تخلف شامل لشتى النواحي العلمية والفكرية والأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، صحيح أن أسلافنا قد تركوا لنا رصيدًا حضاريًا ضخمًا لا زلنا نعتز به ولكننا وقفنا عند هذا الحد، ولم نبذل جهدًا حقيقيا يضيف جديدًا إلى ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا[4].

نظر إقبال حوله فرأى المسلمين يرتعون في بيداء الجهالة ويضربون في فيافي الغفلة؛ حيث أصبح الإسلام الناصع القوي عنوان الذل والفقر والضياع، وصار المسلمون محكومين أذلاء بعدما كانوا

(١) محمد إقبال، ديوان ضرب الكليم، ترجمة: جلال السعيد الحفناوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢ ص ١٤١

(٢) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ١٣٨

(٣) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٣٨

(٤) (التحديات التي تواجه الإسلام في العصر الحديث)، ثقافتنا، العدد ٨، فكر إسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، ١٤٢٨هـ، irarab.com ٢٠١٦/٨/١

حكام كرماء[1]، فكتب في منظومة (الشمع والشاعر) يندب سوء حـ ل المسلمين ويقارنهم بأسلافهم العظام قائلًا:

يا للفشل لقد ضاع متاع القافلة
ونفذ الإحساس بالخسارة من قلب القافلة
الذين عمروا الخرابات بصخبهم وضجيجهم
خربت بلادهم، وصارت عمائرها خرائب[2]

وقد رأى إقبال أن تواكل المسلمين من أسباب التخلف، فكتب أبياتًا تمثل صيحة غاضبة حول تواكل المسلمين وضعفهم وركونهم وإغفالهم لذاتيتهم[3]، وقال موجهًا خطابة لشباب الإسلام في إطار اللوم والعتاب:

هل تدبرت يومًا أيها الشباب المسلم
أي سماء تلك التي كنت أنت شهابها
لقد رباك قوم في حضن المحبة
وهم الذين داسوا تحت أقدامهم تاج رأس دارا
عباد الله الذين كانوا في فقرهم يتمتعون بالحمية إلى درجة كبيرة
بحيث كان المنعم يخاف أن ينعم عليه الفقير
ليس هناك أي نسبة بينك وبين أباتك
حيث أنك تتكلم وهم كانوا يعملون،
وأنت ثابت في مكانك وهم كانوا يتحركون كالنجوم
نحن الذين ضيعنا التراث الذي ورثناه عن أسلافنا
فأنزلنا الثريا من السماء إلى الأرض[4]

---

(١) مجلة إقباليات العربية (العدد العربي الرابع ٢٠٠٣) إشراف الأستاذ محمد سهيل عمر، أكاديمية إقبال باكستان ص ٨٢

(٢) والے نا کامی متاع کاروان جاتا رہا
کارواں کے دل سے احساس زیاں جاتا رہا
جن کے ہنگاموں سے تھے آباد ویرانے کبھی
شہر اُن کے مٹ گئے ، آبادیاں بن ہو گئیں
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص١٨٣)

(٣) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ١٨٨

(٤) کبھی اے نو جواں مسلم ! تدبر بھی کیا تو نے؟
وہ کیا گردوں تھا ، تو جس کا ہے اک ٹوٹا ہوا تارا
تجھے اس قوم نے پالا ہے آغوش محبت میں
کچل ڈالا تھا جس نے پاؤں میں تاج پر دارا
گدائی میں بھی وہ اللہ والے تھے غیور اتنے
کہ منعم کو گدا کے ڈر سے بخشش کا نہ تھا یارا
تجھے آبا سے اپنے کوئی نسبت ہو نہیں سکتی
کہ تو گفتار ، وہ کردار ، تو ثابت ، وہ سیارا
گنوادی ہم نے جو اسلاف سے میراث پائی تھی
ثریا سے زمیں پر آسماں نے ہم کو دے مارا
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٧٦)

أيضًا حاول إقبال اكتشاف كل مواطن الضعف في الأمة الإسلامية فذكر أن المسلمين الآن ليس لديهم أي فن أو موهبة، وقال في منظومة (جواب شكوى) موجهًا كلامه للمسلمين:

أنتم لا تعرفون أي فن

أنتم الشعب الذي لا يهتم بعشه[1]

كما لام إقبال في نفس المنظومة على المسلمين الذين يتكلمون كثيرًا ويدَّعون المعرفة في جميع الأمور، ولا يعملون بل يتكلون على غيرهم ويتواكلون، فأنشد وهو يقارن بين المسلمين الآن وأسلافهم:

أنتم جميعًا تتكلمون، وهم كانوا يعملون

أنتم تشتاقون لبرعم واحد، وهم كانوا يمتلكون البستان[2]

ولم يكتف المسلمون بالكسل، بل خدعوا أنفسهم، واختلقوا الأعذار لما هم فيه من تخلف، فكتب إقبال في ديوان (هدية الحجاز):

لا أعرف بماذا أسميه، هل أسميه خداع الله أم خدع النفس

إذ أن المسلم أصبح خاليًا من العمل بعد أن اختلق من القدر عذرًا له[3]

أيضًا صاحب الكسل الجمود وعدم الإبداع، فأنشد إقبال في إحدى فكاهاته واصفًا المسلمين:

إنهم يطيعون الأوامر مثل السفينة الجامدة

فسيبقون على الساحل طالما أمرتهم، وعندما تأمرهم بالحركة سيتحركون[4]

وقد أضفى عدم الابتكار ظلاله على الدين فاتسم الوعاظ والشيوخ بالجمود مما أدى إلى تأخر الأمة الإسلامية وتخلفها، فكتب إقبال في (جواب شكوى):

لم يعد واعظ القوم ناضج الخيال

ولم يبق لديه بريق الطبع ولا حرارة الكلام

---

(١) جن كو آتا نهيں دنيا ميں كوئى فن ، تم ہو نهيں جس قوم كو پروانے نشيمن ، تم ہو
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٩٧)

(٢) تم ہو گفتار سراپا، وہ سراپا كردار تم ترستے ہو كلى كو، وہ گلستاں بكنار
(علامہ اقبال، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٠٠)

(٣) محمد إقبال، هدية الحجاز، مرجع سابق ص ٢٣٩

(٤) مثال كشتى بيحس مطيع فرمان ہيں كہو تو بستہ ساحل رہيں ، كہو تو بہيں
(علامہ اقبال، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٨٣)

هناك دعوى بأن المسلمين انقرضوا من الدنيا
ونحن نقول هل يوجد مسلم في مكان ما[1]؟

وفي منظومة (المقبرة الملكية) حذر إقبال العالم الإسلامي من الجمود لأن للزمان دورة، والحياة تتسم بالتقلب والتغير، وإذا لم يسايرها الإنسان فإنها ستلفظه، وسيقع في غياهب الظلمات فقال:

في هذه الدنيا الخاسرة لا تستطيع أي أمة فرضت نفسها على الزمان
أن تبقي عبئًا على كاهل الزمن إلى الأبد
لقد اعتاد العالم على فناء الأمم
بحيث لا يهتم بالنظر إلى هذا المنظر ولو نظرة عابرة
لا يستقر أي شيء على نسق واحد
فإن مزاج الزمن مُركَّب من ذوق التجديد[2]

أيضًا كان الضعف سببًا من أسباب تخلف المسلمين، فأنشد إقبال في منظومة (جواب شكوى):

الأيدي ضعيفة والقلوب اعتادت على الإلحاد
والأمة أصبحت عاراً على الرسول ﷺ[3]

وعن حال المسلم الآن أنشد إقبال في ديوان (هدية الحجاز):

المسلم فقير ورث الثياب
جبريل يصيح متألمًا من أعماله
تعال! لنرسم أمة أخرى
فهذه الأمة عبء على كاهل العالم[4]

وهكذا وضح إقبال أن الأمة الإسلامية تعاني من الفقر، والعالم أجمع يعاني من الأمة الإسلامية.

---

(١) واعظ قوم کی وہ پختہ خیالی نہ رہی
برق طبعی نہ رہی، شعلہ مقالی نہ رہی
شور ہے ہو گئے دنیا سے مسلمان نا بود!
ہم یہ کہتے ہیں کہ تو ہے بھی کہیں مسلم موجود؟
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٩٩)

(٢) اس زیاں خانے میں کوئی ملت گردوں وقار
رہ نہیں سکتی ابد تک ، بار دوش روزگار!
اس قدر قوموں کی بربادی سے ہے خوگر جہاں
دیکھتا ہے اعتنائی سے ہے یہ منظر جہاں
ایک صورت پر نہیں رہتا کسی شے کو قرار
ذوق جدت سے ہے ترکیب مزاج روزگار
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٤٧)

(٣) ہاتھ ہے زور ہیں ، الحاد سے دل خوگر ہیں
امتی باعث رسوائی پیغمبر ہیں
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٩٦)

(٤) محمد إقبال، هدية الحجاز، مرجع سابق ص ٢٥

ثم جاء دور الجهل الذي شارك في إرساء منظومة التخلف في العالم الإسلامي، فرغم أن الاستعمار حاول خداع المسلمين بنشر التعليم الغربي إلا أن هذا التعليم كان سببًا أساسيًا في تخلف المسلمين وبُعدهم عن الدين وعدم فهمهم دنياهم، وقد أوضح إقبال مفاسد وأضرار التعليم الغربي الذي حل محل التعليم الديني فكان بمثابة دماء فاسدة تصب في شرايين المسلمين[1]، فأنشد في منظومة (التعليم ونتائجه):

مع أننا مسرورون برقي الشباب
إلا أن الشفاه الضاحكة أحيانًا يخرج منها الأنين
لقد فهمنا أن التعليم سيجلب الرخاء
ولكننا لم ندرك أن الإلحاد سيرافقه أيضًا
علينا أن نجد بذورًا جديدة ونعيد زراعتها
فإن الذي زرعناه لا نستطيع أن نحصده من الخجل[2]

وهكذا وضَّح إقبال أن التعليم الحديث لا يقضي على جهل المسلم بقدر ما يصيبه بالإلحاد، ولا يعني هذا أن إقبال يقلل من شأن العلم وإلا ما ألح على ضرورة بني الأمة الإسلامية لموقف الأسلاف العلمي والإفادة بجهود المعاصرين مع الحذر من مآرب الاستعمار الغربي الذي من أجل تحقيقها يدس السم في العسل للمسلمين[3].

وقد أدت كل أسباب التخلف هذه أن يساور القلق إقبال مما أدى به إلى الثورة على جميع مناحي الحياة، الاجتماعية والسياسية والدينية ومعاني الوطنية والوسائل العمرانية، تلك الثورة التي كانت ملاك أفكاره وقيثارة أشعاره، وقد أراد أن يشاركه المسلمون في هذه الثورة حتى ينتفضوا ويثوروا ويتحرروا من الجمود والخمول، وينفضوا عن أنفسهم أسباب الركود لذا رأى إقبال أن بعث الأمل في نفوس المسلمين سيساعد في نشر أفكاره وتحقيق أهدافه[4].

---

(١) يوسف سليم چشتي، شرح بانگ درا، مرجع سابق ص ٤٥٣

(٢) خوش تو ہیں ہم بھی جوانوں کی ترقی سے مگر — لب خنداں سے نکل جاتی ہے فریاد بھی ساتھ
ہم سمجھتے تھے کہ لائے گی فراغت تعلیم — کیا خبر تھی کہ چلا آئے گا الحاد بھی ساتھ
«تخم دیگر بکف آریم وبکاریم ز نو — کانچہ کشتیم ز خجلت ز خزاں کرد درد»
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٠٥)

(٣) يوسف سليم چشتي، شرح بانگ درا، مرجع سابق ص٣٩٨.

(٤) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ١٠٠

وقد حرص إقبال في هذه المرحلة أن يوضح للأمة الإسلامية ن التخلف الذي تعاني منه هو نتاج عوامل كثيرة شارك فيها المسلمون وأعداؤهم أيضًا، لأن العالم الإسلامي كان مثالًا للتقدم، كما كان منارة للعلم والتجديد، فكتب إقبال منظومة (البلاد الإسلا ية) ليذكّر المسلمين بأمجادهم، ويحضهم على السير مقتفين خطى أسلافهم منشدًا:

أيها القلب الحزين إن أرض دهلي
يرقد دم الأسلاف في جميع ذراتها
كيف لا تكون أرض هذا البستان القفر طاهرة؟
فإن هذه الأرض هي خانة اة عظمة الإسلام
يجب على المسلم أن يزور جهان آباد
وأيضًا تملك مدينة بغداد ا لحق في هذا التكريم
هذه الحديقة التي كان لها أسباب الدلال
هي أقحوانة الصحراء التي يسمونها بحضارة الحجاز
وأرض قرطبة هي أيضًا نور بصيرة المسلم
وهي التي كانت مضيئة مث ، شمع الطور في دياجير الغرب
مدينة القسطنطينية أي ديار قيصر
التي هي رمز محكم لهيبة ه دي الأمة
آه يا يثرب أنتِ مأوى لمسلميك ووطن لهم
وأنتِ مركز النور الذي يجـ ـب إلية الأشعة[1]

وهكذا طاف إقبال بالمدن والبلاد الإسلامية فذكر أمجادها وأسـ باب تميزها، لعلها تكون حافزًا للمسلمين ليحاولوا استرداد أمجادهم الغابرة، فكان هذا الحافز عنصرًا إيجابيًا في أشعار إقبال يدفع من خلاله المسلمين إلى التقدم والتطور.

(١) سرزمين دلي كي مسجود دل غم ديده ہے
زرے ذرے ميں لہو ا سلاف كا خوابيده ہے
پاک اس اجڑے گلستاں كى نہ ہو كيونكر زميں
خانقاہ عظمت اسلام ہے يہ سرزميں
ہے زيارت گاہ مسلم گو جہان آباد بھى
اس كرامت كا مگر حـ دار ہے بغداد بھى
يہ چمن وہ ہے كہ تھا جس كے ليے سامان ناز
لالہ صحرا ، جسے كـ تے ہيں تہذيب حجاز
ہے زمين قرطبہ بھى ديده مسلم كا نور
ظلمت مغرب ميں جو وشن تھى مثل شمع طور
خطہ قسطنطنيہ يعنى قيصر كا ديار
مہدى امت كى سطوت كا نشان پايدار
آہ ! يثرب ! ديس ہے مسلم كا تو مادى ہے تو
نقطہ جاذب تاثر كى ہ ماعوں كا ہے تو
(علامہ اقبال ، باتگ درا، مرجع سابق ص١٣١، ١٣٢)

أيضًا نظم إقبال منظومة شروق الإسلام التي حاول من خلالها بث الثورة في نفوس المسلمين، وتأكيد أن الأصل في المسلمين لا يزال قويًا رغم النكبات والزلازل، وأنهم ما زالوا معقد رجاء البشرية رغم الهزال والضعف (فإذا رأيت النجوم شاحبة منكدرة فاعلم أن الفجر قريب). وقد بدأ إقبال منظومة (شروق الإسلام) بقوله:

خفوت ضوء النجوم هو دليل الصباح المضيء
لقد أشرقت الشمس عبر الأفق وتلاشت فترة النوم العميق
لقد حولت عاصفة الغرب المسلم إلى مسلم حقيقي
فتلاطم الأمواج هو الذي يداوي الآلئ
وسينال المؤمن من جناب الله مرة أخرى
قوة الأتراك والعقل الهندي والمنطق العربي[1]

ثم وجه إقبال نصيحة ملخصة لكل مسلم من خلال نفس المنظومة قال فيها:

ماذا يلزم الرجل؟ سمو الطبع وصفاء المشرب
وأن يكون دافئ القلب، وطاهر النظرة، ومضطرب الروح[2]

هنا وضّح إقبال أن المسلم الحق يلزمه السمو والصفاء والدفء والطهارة وأخيرًا اضطراب الروح للثورة على أسباب التخلف.

وأخيرًا وجه إقبال في منظومة (الصباح الجديد) رسالة إلى المسلمين أن انهضوا وأضيئوا العالم بنور الإسلام، ومن لا يعرف محاسن الإسلام عرفوه بها وبلغوه[3].

رابعًا: التفكك والانقسام:

عانت الأمة الإسلامية من التفكك والانقسام فاختلفت آراؤهم وتشرذمت جماعاتهم وتفرق شملهم، ورغم أن المسلمين كانوا سببًا أساسيًا في حدوث هذا التفكك والانقسام إلا أن الاستعمار أيضًا كان له دور في حدوث هذا الأمر. وقد نعي إقبال التفكك الذي أصاب الأمة الإسلامية وقال أنها أول أمة جاوزت حدود النسب والوطن وآخت بين الناس، لذا عب عليها وعلى حكامها تجاوز

(١) دليل صبح روشن ہے ستاروں کی تنک تابی
افق سے آفتاب ابھرا ، گیا دور گراں خوابی
مسلماں کو مسلماں کر دیا طوفان مغرب نے
تلاطم ہائے دریا ہی سے ہے گوہر کی سیرابی
عطا مومن کو پھر درگاہ حق سے ہونے والا ہے
شکوہ ترکمانی، ذہن ہندی، نطق عربی
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ۲۶۲)

(٢) چہ باید مرد را طبع بلندے، مشرب نابے
دل گرمی، نگاہ پاک بینے، جان بیتابے
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ۲۶۸)

(٣) يوسف سليم چشتي، شرح بانگ درا، مرجع سابق ص ٤٠٣

الخلافات والبعد عن الفرقة. وهذه قطعة يسمو فيها إقبال على الأقوام والأوطان، بل يسمو على الدنيا، ويدعو إلى الوحدة بين العرب فقال:

إلى عصبات العرب ما أنا مُنتمٍ
ولا أنا هندي ولا أنا أعجمي
فقد حلقت بي (الذات) تحليق نافر
يمر على الدارين غير مُحوَّمِ
بعينك أني كافر غير مسلم
وأنت بعيني كافر غير مسامِ
فدينك تعداد لأنفاس مُحجم
وديني إحراق لأنفاس مُقامِ[1]

أيضًا وصف إقبال في منظومة (شروق الإسلام) انقسام المسلمين إلى شعوب وأوطان لم تكن موجودة من قبل، ولكنها ظهرت بعدما انفرط عقد المسلمين وتفرق فقال:

هذا هندي وذاك خراساني وهذا أفغاني وذاك تووراني
فلتقفز أيها الجالس على الساحل وتصبح كبحر لا شاطئ له[2]

هنا وضح إقبال أن الخلاف والاختلاف لا يظهر إلا حين يبتعد المسلم عن دينه، ولكن عندما يقفز إلى بحر التوحيد يعرف معنى الوحدة، ولا يتفرق المسلمون، بناء على الجنس أو اللون أو النسب.

وفي منظومة (غرة شوال أو هلال العيد) وضَّح إقبال أن تشتت المسلمين يمثل أغلال تقيدهم وتمنعهم من الانطلاق والتقدم، وأن المسلمين قد انفرط عقدهم بينما الهندوس متحدون ومتمسكون بدينهم فقال:

إن المسلمين مقيدون في أغلال التشتت
فانظر إلى حريتك، والق نظرة على قيودهم

(١) د. عبد الوهاب عزام، مرجع سابق ص ١٩٠
(٢) يه بندى ، وه خراسانى ، يه افغانى ، وه تورانى
تو اے شرمنده ساحل اچهل كر بيكراں بو جا
(علامه اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٦٩)

انظر كيف انقطع خيط سبحة الشيخ في المسجد

وانظر إلى البرهمي في المعبد وتمسكه بالزنار[1]

وفي منظومة (شكوى) تحسر إقبال على وحدة المسلمين السابقة التي جعلتهم يبلغون قمة المجد فقال:

لقد وقف محمود وإياز في صف واحد

فلم يعد هناك عبد ولا سيد

فالعبد والمولى والفقير والغني أصبحوا كلهم واحدًا

وحينما وصلوا إلى رحابك تحول الجميع إلى واحد[2]

وقد وجه إقبال خطابًا مباشرًا إلى الأمة العربية في مثنوي (ماذا نفعل يا أمم الشرق) شكا فيه العرب إلى أنفسهم، فقد حطموا بأيديهم ما كان لهم من بناء رفيع، وفرَّقوا بتفرقهم ما كان لهم من جمع شمل، واستسلموا للغير والقوا بأنفسهم في أحضان مدنية الغرب الزائفة، فوقعوا في أخطاء استهدفها لهم سواهم من الشعوب[3] فقال:

كيف انقضى حفلكم وانفض سامركم

وكان بالأمس مثل العقد منتظمًا

توحدت من قديم الدهر أمتكم

ما بالها انقسمت في الأرض أممًا[4]

وبعد أن لام إقبال العرب على تفرقهم وتشرذمهم، أكد لهم أن هذه الفرقة ضد مبادئ الإسلام وأوامر رسول الله ﷺ؛ حيث قال للعرب (لقد وحدكم الرسول ﷺ فانقسمتم، وجمَّعكم فتفرقتم، وألف بينكم فتباعدتم، وأصبحتم تنظرون إلى الدنيا بمنظار أجنبي، وتعيشون في أرضكم غرباء عن أنفسكم). ثم شرح إقبال كلمة ملة فقال: إنها لغويًا بمعنى الدين، ولقد جاء ذكر هذه الكلمة في القرآن الكريم بنفس المعنى، فالآية القرآنية تتحدث عن ملة واحدة، ولا يميز المسلمين في

(١) فرقہ آرائی کی زنجیروں میں ہیں مسلم اسیر
دیکھ مسجد میں شکستہ رشتہ تسبیح شیخ!
(علامہ اقبال، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٧٨)

(٢) ایک ہی صف میں کھڑے ہو گئے محمود و ایاز
بندہ و صاحب و محتاج و غنی ایک ہوئے
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٦١)

اپنی آزادی بھی دیکھ ، ان کی گرفتاری بھی دیکھ
بتکدے میں برہمن کو پختہ زناری بھی دیکھ

نہ کوئی بندہ رہا اور نہ کوئی بندہ نواز
تیری سرکار میں پہنچے تو سبھی ایک ہوئے

(٣) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ٦٦

(٤) المرجع السابق ص ٧١

العالم سوى الإسلام[1]. وقد أكد إقبال هذه الفكرة من خلال منظومة (الشمع) التي قال فيها أن المسلم الملتزم بإسلامه هو الذي يحافظ على اتحاد المسلمين، وأن الاتحاد يؤدي إلى عزتهم فقال موجهًا كلامه إلى الساقي:

حينما كنت متمسكًا بأصلك كان هناك الاتحاد
وحين تركت الزهرة تفرقت قافلة الرائحة
كانت كرامتك بسبب الاتحاد والتوافق في الملة
وعندما ضاع هذا الاتحاد نقدت سمعتك في هذه الدنيا
يستمد الفرد القوة من ارتباطه بالملة أما الفرد بذاته فلا يعني شيئًا
والموج دائمًا يكون في النهر أما خارج النهر فلا وجود له[2]

أيضًا في نفس الديوان ربط إقبال بين البعد عن الدين والفرقة والانقسام؛ حيث جعل الدين رمز الاتحاد والبعد عن الدين أساس الفرقة، فقال في منظومة (جواب شكوى):

الدين هو أساس القوم فإذا انتهى قُضي عليكم
لو لم توجد جاذبية بين النجوم لما كان هناك مجلس النجوم[3]

فالجاذبية هنا هي رمز التوحد ولو لم توجد لانفرط عقد الكون، كما أنه لو لم يوجد دين يؤلف بين القلوب لانتهى أمر القوم. ثم عاد إقبال في نفس المنظومة يؤكد أن التوحيد هو السبيل لوحدة الأمة الإسلامية فقال:

والحرم الطاهر واحد والله والقرآن واحد
ولم يكن عسيرًا لو اتحد المسلمون أيضًا
فهناك تشيع الفرقة بينكم، ويحل بينكم الفخر بالأنساب والأحساب
فهل هذه أشياء تسمح بالبقاء في هذا العالم[4]؟

---

(١) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٣١

(٢) اپنی اصلیت پہ قائم تھا، تو جمعیت بھی تھی
چھوڑ کر گل کو پریشاں کاروان بو ہوا
جب یہ جمعیت گئی، دنیا میں رسوا تو ہوا
موج ہے دریا میں، اور بیرون دریا کچھ نہیں
(علامہ اقبال، بانگ درا، مرجع سابق ص ۱۸۶)

(٣) قوم مذہب سے ہے، مذہب جو نہیں، تم بھی نہیں
جذب باہم ہو نہیں، محفل انجم بھی نہیں
(علامہ اقبال، بانگ درا، مرجع سابق ص ۱۹۷)

(٤) حرم پاک بھی، اللہ بھی، قرآن بھی ایک
کچھ بڑی بات تھی ہوتے جو مسلمان بھی ایک
فرقہ بندی ہے کہیں اور کہیں ذاتیں ہیں
کیا زمانے میں پنپنے کی یہی باتیں ہیں
(علامہ اقبال، بانگ درا، مرجع سابق ص ۱۹۸)

ويعتبر إقبال أن الحدود الجغرافية بين المسلمين عقبة كبرى في سبيل تقدمهم وازدهارهم، وأنهم يعيشون في بلدان مختلفة ولكنهم مرتبطون بالعقيدة الواحدة، هذه العقيدة التي تؤكد أن فكرة التمييز العنصري واللوني والعرقي فكرة تتنافى مع بشرية الإنسان[1]. وقد أكد إقبال على هذه الفكرة من خلال منظومة (العالم الإسلامي) حين قال:

فنجاح الشرق منوط بالإتحاد والألفة في الملة البيضاء
وحتى الآن لا يدرى الآسيويون هذه الحكمة
عليهم أن يتركوا السياسة ويدخلوا مرة أخرى في قامة الدين
فإن الملك والثروة ثمرة من ثمرات الحرم فقط
وأنا المسلم المكلف بحراسة الحرم
فليتحد المسلمون من ساحل النيل إلى تراب كاشغر لحراسته
فسوف يفنى كل من شيد التفرقة العنصرية
سواء أكان تركيًا صاحب الإيوان أم عربيًا ذا الطبع السليم
إذا تقدمت العنصرية على دين الإسلام
فسوف ينتشر وجودك في هذه الدنيا مثل تراب الطريق[2]

ولا يعني إبراز إقبال لخلافات العرب والمسلمين أنه لم ير الجانب الإيجابي فيهم، فليس هناك شاعر غير عربي قبل إقبال قد اهتم بأمجاد العرب والإسلام اهتمامه بها، فهو الذي فتح الباب على مصراعيه في هذا المجال أمام من عاصروه ومن جاءوا بعده من الشعراء حين تكلم عن مجد العروبة وأثر الإسلام في رقي الأمم[3].

ولم يكتف إقبال بحض المسلمين على الاتحاد في الشعر فقط، بل كانت له آراء ومشاركات فعلية في عديد من المواقف التي ألمت بالأمة الإسلامية وكادت تؤدي إلى تفرقهم، ففي سنة ١٩١٢م عانت الدولة العثمانية من ويلات الحروب، فشارك إقبال في الجلسة المقامة في المسجد الملكي

(١) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٣١، ٣٢

(٢) ربط و ضبط ملت بيضا ہے مشرق کی نجات
ایشیا والے ہیں اس نکتے سے اب تک بیخبر
پھر سیاست چھوڑ کر داخل حصار دیں میں ہو
ملک و دولت ہے فقط حفظ حرم کا اک ثمر
ایک ہوں مسلم حرم کی پاسبانی کے لیے
نیل کے ساحل سے لے کر تا بخاک کاشغر !
جو کرے گا امتیاز رنگ و خوں مٹ جائے گا
ترک خرگاہی ہو یا اعرابی والا گہر
نسل اگر مسلم کی مذہب پر مقدم ہو گئی
اڑ گیا دنیا سے تو مانند خاک رہگذر
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٦١)

(٣) إيوان إقبال، مرجع سابق المقدمة

بلاهور، والتي كان الهدف منها جمع معونات مالية للأتراك أثناء حرب البلقان، كما ألقى منظومة شعرية بعنوان (في حضرة الرسول ﷺ)، وهكذا شارك إقبال بالفعل والشعر عملًا بالآية الكريمة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(١).

وفي عام ١٩٢٤م ثارت قضية أخرى من قضايا العالم الإسلامي حين تمرد (الشريف حسين) على الخلافة العثمانية وتعاون مع الإنجليز، فهب (ابن سعود) سلطان نجد للسيطرة على مكة المكرمة، وفي نهاية العام كان (ابن سعود) قد سيطر على كل إقليم الحجاز، وعندما سُئِل إقبال عن رأيه في هذا الأمر شجع استمرار (ابن سعود) في السيطرة على إقليم الحجاز حتى لا تزيد مشاكل العالم الإسلامي ويزيد انقسام المسلمين في هذه الظروف العصيبة التي ألمت بإقليم الحجاز، بل راوده الأمل أن يكون (ابن سعود) باعثًا لحركة قومية تجلب الخير للمسلمين(٢).

أيضًا في أفغانستان شن الأمير (أمان الله خان) والي أفغانستان حملة سنة ١٩٢٩م سيطر من خلالها على كابل، فوقعت الدولة فريسة للحرب والدمار مما أدى إلى نهوض الجنرال (نادر خان) لجمع شمل الأفغان، ومن أجل توفير المساعدات المالية للجنرال (نادر خان) وشعب أفغانستان وجه إقبال مناشدة لكل مسلمي الهند موضحًا لهم أنه بسبب هذه الحرب أصبحت حياة مئات الآلاف من المسلمين في خطر، كما أن هناك آلاف الأميال المربعة الخاضعة للحكم الإسلامي أصبحت في مهب الريح، وقد رأى إقبال أنه فرض على المسلمين الهنود مساعدة جيرانهم من المسلمين في أفغانستان الذين يعانون من ويلات الحرب والتفكك والتشتت(٣).

وقد دعا إقبال دائمًا في شعره وخطبه وكتاباته إلى اتحاد العالم الإسلامي إيمانًا بقول الله تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[آل عمران:١٠٣]، وكان حريصًا على نشر تلك الدعوة، ولذا عندما سمع بوجود أحد كبار علماء الإسلام وهو سماحة الشيخ (مبشر الطرازي الحسيني) في مدينة دهلي سنة ١٩٣٦م، سافر من لاهور إلى دهلي لمقابلته، وطلب منه أن يلقي محاضرة بعنوان (وجوب اتحاد العالم الإسلامي) في الاحتفال السنوي لجمعية حماية الإسلام بلاهور، وقبل سماحته الدعوة فكان هذا خير دليل على جهود إقبال في سبيل وحدة الأمة الإسلامية(٤).

(١) يوسف سليم چشتي، شرح بانگ درا، مرجع سابق ص ٣٧٩
(٢) محمد احمد خان، اقبال كا سياسى كارنامه، مرجع سابق ص ٨٥-٨٧
(٣) (محمد إقبال) www.ur.wikipedia.org 21/6/2016
(٤) مجلة إقباليات العربية، مرجع سابق ص ٧١

خامسًا: البعد عن الدين وفساد العقيدة:

دقق إقبال النظر والفكر فيما آلت إليه حالة الأمة الإسلامية من سوء، ورد هذا الأمر إلى أن المسلمين لم ينظروا في قرآنهم ولم يكلفوا أنفسهم مؤونة العمل بما دعاهم إلى الإقدام عليه والإحجام عنه، وأخذ إقبال الأسى لأنهم وهم أمة القرآن لم يتأدبوا بأدبه[1].

ولأن إقبال داعيًا من دعاة الإسلام الصادقين، كان يعتبر الشريعة الإسلامية والنظام الإسلامي حلًا صحيحًا وسليمًا للمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبناء على ذلك كان يعتبر كل نظام وضعي مرفوضًا تمامًا، شرقيًا كان أم غربيًا، ملكية أم ديمقراطية، اشتراكية أم شيوعية، لأن هذه النظم في نظر إقبال تحاول أن تعالج مشكلات المجتمع المادية، ولكنها لم تهتم بطمأنة الروح البشرية، لذلك فإن نظام الحياة الذي لا يهتم بالروح والمادة، الدين والدنيا لا يمكن أن يكون ضامنًا لتوفير الرضا والطمأنينة للبشر.

ولكن الزمان لم ييسر لإقبال مطلوبة، فعندما عانت الأمة الإسلامية من التفكك والانقسام في صفوفها بسبب استغلال الحكام السلطة لأهوائهم الشخصية، وبسبب بُعد الجميع عن الإسلام وأحكامه، رأى المفكرون السياسيون الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الأوربية العلمانية والذين تأثروا بالأفكار الغربية وفكرة فصل الدين عن السياسة والدولة أن علاج تخلفهم وانحطاطهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي يكمن في نظرية القومية[2].

هنا قام عدد من المفكرين في شبه القارة الهندية بدراسة الحضارة الغربية ومشاكل العصر، وحللوا الحضارة المعاصرة تحليلًا علميًا فتركوا تأثيرًا في الفكر الإسلامي المعاصر، وكانت الضربة الأولى على الحضارة الغربية من إقبال الذي كان أشدهم بأسًا وأكثرهم حماسة[3]، فقام بدور الناصح والمصلح للمسلمين، وأراد أن يقدم لهم ما شاهد في أسفاره من مساوئ وأضرار نظرية القومية والوطنية على أساس تلك النظريات والنظم الوضعية[4]. وفي منظومة (الوطنية) أي (الوطن من حيث التصور السياسي) وضَّح إقبال مساوئ الوطنية وخطرها على الدين فقال:

---

(١) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ١١٨

(٢) المرجع السابق ص ٢٧، ٢٩

(٣) مجلة إقباليات العربية، مرجع سابق ص ٧٥

(٤) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٢٩

لقد بني المسلم لنفسه أيضًا حرمًا آخر
وجعل آذر الحضارة الـ اس تنحت أصنامًا أخرى كثيرة
والوطن هو الإله الأكبر من بين هذه الآلهة الجديدة
فرداء هذا الإله هو ثوب كفن الدين
هذا الإله الذي نحتته الحضارة الحديثة
هو الذي أغار على صرح الدين النبوي
يستمد ساعدك الهمة من قوة التوحيد
ووطنك هو الإسلام وأنت المصطفى[1]

وقد أوضح إقبال أن المسيحية تدعو إلى الدين والعقيدة باعتبارها عملًا فرديًا وقضية شخصية، وأن الدولة هي المسئولة عن الأمور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأن الدين لا دخل له فيها، بينما الإسلام دين جماعي وإنساني أي دين فرد ومجتمع[2]. وعندما وجد إقبال المسلمين مشغولين بفكرة القومية، لاهين عن دينهم وجه اعتذارًا لرسول الله ﷺ في (هدية الحجاز) قائلًا:

وضعنا جبيننا لغير الله
وغنينا في حضوره كالمجوس
لا أبكي على غيرنا، بل أبكي على أهلنا
إذ أننا لم نعد لائقين بمقامك[3]

أيضًا كان إقبال معتزًا بتراث الإسلام وحضارته وما خلده أعلام الإسلام من علوم وما أبدعوا من فنون وروائع الفكر، وكان ينظر إلى التاريخ الإسلامي نظرة احترام وتمجيد، وكان ضد الدعوة إلى تقليد أوربا، بل كان يدعو إلى إحياء التاريخ الإسلامي ويمجد دور الأوائل من حملة الإسلام ويتغنى بما فعله هؤلاء الأوائل[4]. وفي منظومة (أنشودة الدين) وضح للمسلمين المحدثين مدى تمسك أسلافهم بالدين، فكان ارتباطهم بدينهم رمزًا لفلاحهم وتقدمهم فقال:

---

(١) مسلم نے بھی تعمیر کیا اپنا حرم اور تہذیب کے آزر نے ترشوائے صنم اور
ان تازہ خداؤں میں بڑا سب سے وطن ہے جو پیرہن اس کا ہے وہ مذہب کا کفن
یہ بت کہ تراشیدہ تہذیب نوی ہے غارت گر کاشانہ دین نبوی ہے
بازو ترا توحید کی قوت سے قوی ہے اسلام ترا دیس ہے تو مصطفوی ہے
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٥٩)

(٢) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٣٠

(٣) محمد إقبال، هدية الحجاز، مرجع سابق ص ٥١

(٤) مجلة إقباليات العربية ، مرجع سابق ص ٧٦

الصين لنا والهند لنا والعرب لنا

إننا مسلمون والعالم كله وطننا

أمانة التوحيد في صدورنا

وليس سهلًا محو اسمنا و ثارنا

بيت الله هو البيت الأول ضمن بيوت العبادة

نحن حراس هذا البيت و هو حارسنا

لقد تربينا وأصبحنا شبابًا تحت ظلال السيوف

والخنجر الهلالي هو رمز قوتنا

دوى آذاننا في وديان المغرب

ولم يستطع أحد أن يقف في سبيل سيلنا الجارف

أيتها السماء إن الباطل لا يستطيع أن يزهقنا

فإنك قد اختبرتنا مائة مرة[1]

هنا ربط إقبال بين التمسك بالدين والقوة اللتان استطاع المسلمون من خلالهما إثبات ذاتهم وتأكيد وجودهم، وهذا هو حال المسلمين الأول، أما الآن فلا يوجد قوة ولا دين، ورغم ذلك حاول إقبال أن يُذكِّر المسلمين بماضيهم الزاهر ليحاولوا بذل الجهد لتجديد أمجادهم واسترجاع ماضيهم.

ولتوضيح الصورة كاملة قديمًا وحديثًا قام إقبال بنظم منظومتي (شكوى) و(جواب شكوى) اللتان عقد من خلالهما مقارنة واضحة وصريحة بين أمجاد المسلمين و جهودهم في سبيل نشر الإسلام في العصور الأولى، وبين بُعد المسلمين في العصور الحديثة عن الدين، وتراخيهم وإهمالهم مما أدى إلى تغير وضعهم، فوصف في منظومة (شكوى) أمجاد المسلمين الأوائل على لسانهم وهم يخاطبون الله:

لقد كان منظر الحياة عجيبًا قبلنا

ففي مكان ما كان يُسجد للصنم، وفي مكان آخر كان يُعبد الشجر

---

(١) چين و عرب ہمارا ، ہندوستان ہمارا
مسلم ہیں ہم ، وطن ہے سارا جہاں ہمارا

توحید کی امانت سینوں میں ہے ہمارے
آساں نہیں مٹانا ، نام و نشاں ہمارا

دنیا کے بتکدوں میں پہلا وہ گھر خدا کا
ہم اس کے پاسباں ہیں ، وہ پاسباں ہمارا

تیغوں کے سائے میں ہم پل کر جواں ہوتے ہیں
خنجر ہلال کا ہے قومی نشاں ہمارا

مغرب کی وادیوں میں گونجی اذاں ہماری
تھمتا نہ تھا کسی سے سیل رواں ہمارا

باطل سے دبنے والے اے آسماں نہیں ہم
سو بار کر چکا ہے تو امتحاں ہمارا

(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٥٥)

أنت تعرف هل كان أحد يذكر أسمك؟
لقد أنجزت قوة سواء د المسلمين هذا العمل
من الذي حمل السيف لإعلاء كلمتك؟
ومن الذي أصلح الأ ر الفاسد؟
نحن فقط الذين خضنا المعارك في سبيلك
فحاربنا برًا وبحرًا
لقد نقشنا عقيدة التوحيد على كل قلب
وبلغنا هذه الرسالة - تحت نصل الخنجر أيضًا[1]

كانت هذه بعض إنجازات المسلمين الأول الذين نشروا الدين الإسلامي، ورفعوا رايته عاليًا، ولكن إقبال رأى أن الصورة ناقصة، ويجب أن تكتمل بتصوير المسلمين المحدثين، فقال في منظومة (جواب شكوى) التي رد من خلالها الله عز وجل على شكاوي المسلمين من سوء حالهم:

الأيدي ضعيفة والقلوب اعتادت على الإلحاد
وأصبحت الأمة عارًا على الرسول ﷺ
ذهب من حطموا الأصنام، أما الباقون فهم ينحتونها
كان أبوهم إبراهيم، وأصبح الأبناء كآذر
كم أصبح القيام في الصباح ثقيلًا عليكم
أنتم لا تحبونني بل تفضلون النوم
واعتبرتم شهر رمضان قيدًا ثقيلًا على طبعكم الحر
قولوا هل هذا هو عهد الوفاء[2]؟

---

(١) ہم سے پہلے تھا عجب تیرے جہاں کا منظر — کہیں مسجود تھے پتھر ، کہیں موجود شجر!
تجھ کو معلوم ہے لیتا تھا کوئی نام ترا؟ — قوت بازوئے مسلم نے کیا کام تیرا !
پر ترے نام پہ تلوار اٹھائی کس نے؟ — بات جو بگڑی ہوئی تھی ، وہ بنائی کس نے ؟
تھے ہمیں ایک ترے معرکہ آراؤں میں — خشکیوں میں کبھی لڑتے ، کبھی دریاؤں میں
نقش توحید کا ہر دل پہ بٹھایا ہم نے — زیر خنجر بھی یہ پیغام سنایا ہم نے
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص١٥٩- ١٦١)

(٢) باتیں ہے زور بیں ، الحاد سے دل خوگر ہیں — امتی باعث رسوائی پیغمبر ہیں
بت شکن اٹھ گئے ، باقی جو رہے بت گر ہیں — تھا براہیم پدر ، اور پسر آزر ہیں
کس قدر تم پہ گراں صبح کی بیداری ہے — ہم سے کب پیار ہے ہاں نیند تمھیں پیاری ہے
طبع آزاد پہ قید رمضاں بھاری ہے — تمھیں کہہ دو یہی آئین وفاداری ہے
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٩٦، ١٩٧)

واستمر إقبال في منظومته يعدد مساوئ المسلمين الجدد، وكان أب هذه المساوئ هو البعد عن الدين والجري وراء أذيال المدنية الحديثة التي تخدع الأفراد بزينتها، و كنها تعاني من الخواء.

ولم يكتف إقبال بوصف حال المسلمين قديمًا وحديثًا، بل حاول (، عديد من أشعاره البحث عن الأسباب التي أدت إلى بُعد المسلمين عن دينهم، فحمَّل مسئولية ذل ك على تلاعب أرباب الفتاوى الدينية، فأصبحت تلك سياسة أهل الدين وأربابه، فأنشد في مثنوي (والآن ماذا نفعل يا أمم الإسلام) واصفًا رجال الدين:

وذلك البارع في مهنته　　يصطنع التجديد في الدين القويم
قد شطر الوحدة في أمته　　فما له من ند سوى عصا الكليم[1]

ثم أكد إقبال مسؤولية رجال الدين عن سوء حال المسلمين بُعدهم عن دينهم عن طريق إدخالهم أفكار خارجة عن الإسلام مما جعل من الصعب التفريق بين الإسلام والكفر، فقال في (هدية الحجاز):

متاع الشيخ ليس إلا أساطير قديمة
كلامه كله ظن وتخمين
حتى الآن، إسلامه زناري
وحين يصير الحرم ديرًا، يكون هذا بسبب سدنته[2]

وبمرور الزمن اندمج رجل الدين الإسلامي مع الحضارة الغربية حتى سيطرت عليه وقيدته فأنشد إقبال في إحدى فكاهاته:

لا داعي للحزن لأن الواعظ مغلول اليدين
فعليه أن يحني رأسه أمام الحضارة الحديثة[3]

هنا أكد إقبال أن رجل الدين حاول أن يواكب ركب الحضارة الحديثة فاستعبدته، وقضت على هيبته بعد أن غلت يديه وأفكاره.

(١) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ٢١
(٢) محمد إقبال، هدية الحجاز، مرجع سابق ص ٤٩
(٣) كچه غم نہیں جو حضرت واعظ ہیں تنگدست　　تہذیب نو کے سامنے سر اپنا خم کریں
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٨٠)

ولم يبتعد الوعاظ ورجال الدين فقط عن تعاليم الدين، بل ابتعد القادة والمسئولين أيضًا، وقد وضَّح إقبال أن حالة المسلمين تستنزف الدموع من المآقي وتثير اللوعة والشجن، لأن رواة القافلة قد قايضوا دينهم بدنياهم واستعبدتهم الشهرة والجاه بقدر ما استعبدهم الغاصبون، وكثير منهم لا يعلمون عن الدين إلا القليل، وهم مسلمون بأسمائهم أو بشهادات ميلادهم إسلامًا جغرافيًا وتدينًا شكليًا ثم لا شيء بعد ذلك. لذا أكد إقبال أنه آن للمسلمين أن يسترجعوا قوة الإيمان وألا يتبعوا شيطان الاستعمار ولا يفتحوا آذانهم وقلوبهم لوساوسه القاتلة وتغريره المسموم فقال:

ضاق صدري بأمير القافلة
ليس فيه ومضة من (لا إله)
عابد المال يحب العاجلة
عبد جسم، عبد نفس، عبد جاه[1]

أيضًا وضَّح إقبال أن البعد عن الدين ليس فقط بترك الفروض الدينية، ولكن ترك الفروض هو البداية التي تجر وراءها عديد من الخطايا كالتملق والرياء والتسلق وكثير من العادات السيئة التي تجر المسلم إلى الحضيض، فقال في منظومة (النصيحة):

لقد قلت هذا لإقبال من قبيل النصيحة
أنت لا تصوم ولا تواظب على الصلاة
أنت أيضًا كامل في طريقة أرباب الرياء
فذكر الحجاز على شفتيك، ولكن قلبك يهفو إلى هوس لندن
وكذبك لخدمة المصلحة
وطريقتك في التملق هي أيضًا كل الإعجاز
وأنت تستطيع أن تخفي مثل الآخرين
هوس الجاه وراء حجاب خدمة الدين[2]

(١) إيوان إقبال، مرجع سابق ص ٦٤

(٢) ميں نے اقبال سے از راہ نصیحت یہ کہا
تو بھی ہے شیوہ ارباب ریا مین کامل
جھوٹ بھی مصلحت آمیز ترا ہوتا ہے
اور لوگوں کی طرح تو بھی چھپا سکتا ہے
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٧٢)

عامل روزہ ہے تو ، اہل نہ پابند نماز
دل میں لندن کی ہوس ، لب پہ ترے ذکر حجاز
تیرا انداز تملق بھی سوا اعجاز
پردہ خدمت دین میں ہوس جاہ کا راز

كما كان للحضارة الحديثة دور كبير في إغراء وإغواء المسلم لـ بعد عن دينه ونفسه، وقد أنشد إقبال في منظومة (جواب شكوى) موجهًا حديثه للمسلمين:

لقد هجرتم العش شوقًا إلى الطيران
وأصبح الشباب لا يعملون بالدين، ويظنون ظن السوء
فحررتهم الحضارة من جميع القيود
وأخرجتهم من الكعبة، وأسكنتهم بين الأصنام[1]

ولا يعني هذا رفض إقبال للحضارة الغربية إذ أنه نفسه قد استـ اد منها، ولكن كل ما يقصده هو توجيه الأذهان إلى قيمنا الإسلامية الداخلية حتى نستفيد منها ونرجع إليها لعلها تكون عونًا لنا على حل مشكلاتنا[2].

أيضًا في ديوان (هدية الحجاز) نظم إقبال منظومة بعنوان (مجلس شورى إبليس) وضَّح من خلالها أثر الحضارة الحديثة على المسلمين وكيف أبعدتهم مفاهيمها عن دينهم، فقال على لسان إبليس:

حين أصبح الإنسان مفكرًا واعيًا متبصرًا إلى حد ما
زيفنا عليه الأمر فألبسنا الملكة لباس الديمقراطية
ولا خطر حينئذٍ طالما بقيت فكرة الوصول إلى السلطة خلف الإصلاحيين
إن أمور الحكم شيء آخر لا ينحصر في وجود أمير أو قيام ملكية
سيان عندنا أن يكون هناك مجلس الأمة أو بلاط الملك
لأن حقيقة الأمر أن السلطان هو من يصوب آماله نحو مزارع الآخرين[3]

ثم استرسل إبليس في حواره موضحًا أنه لا يهاب أي دين أو نظام، وإنما يخشى من نهوض ويقظة الأمة الإسلامية، فقال أن الخطر الحقيقي الذي يهدده إنما ينبع من الأمة الإسلامية التي مازال في رمادها وميض الأمل وشرارة الأمنية[4].

(١) شوق پرواز میں مہجور نشیمن بھی ہوئے
ان کو تہذیب نے ہر بند سے آزاد کیا
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٠٠)
بے عمل تھے ہی پہ واں دین سے بد ظن بھی ہوئے
لا کے کعبے سے صنم خانے میں آباد کیا

(٢) د. خالد أسدي، محمد إقبال مرجع سابق ص ٦٠
(٣) د. خالد أسدي، محمد إقبال مرجع سابق ص ٣٥
(٤) المرجع السابق ص ٣٦

أيضًا ربط إقبال بين التعليم الحديث والبعد عن الدين لأن الاستعمار هو من نشر هذا التعليم ليبعد الشعوب عن دينهم باسم الرقي والحضارة والمدنية، فأكد في منظومة (حوار مع الفردوس) على تضارب التعليم الحديث مع تعاليم الدين قائلًا:

عندما قلب الفلك القديم صفحة من كتاب الأيام
نادي هاتف بأنه لا سبيل إلى العزة إلا بالتعليم
ولكن عقائدهم قد تداعت بالتعليم
وقد ربحوا الدنيا، ولكن طائر الدين قد طار
الدين هو وسيلة الاتحاد بين الأفراد
فهو بمثابة المضراب لو اعتبرنا الملة قيثارة[1]

إذن هناك تلازم بين الدين ووحدة المسلمين، فالدين قطعًا يؤدي إلى اتحاد أهل الملة، بينما العلم الحديث - بالرغم من أنه كان هدف المسلمين - إلا أنه للأسف فرقهم وأبعدهم عن دينهم.

وعلى المستوى العملي والسياسي لم يشجع إقبال أي دولة إسلامية حاولت اللحاق بركب الحضارة الحديثة على أنقاض الدين، وحاولت الابتعاد عن الدين باسم التقدم والمسيرة الديمقراطية، فقد كان هناك ارتباط عاطفي يربط إقبال بإيران، وكانت هناك مشاعر وعواطف قوية بين محمد إقبال وإيران حتى أنه عندما أراد أن يسجل رسالة الدكتوراه اختار (فلسفة العجم) موضوعًا لها، وعلاوة على ذلك نظم كثيرًا من أشعاره باللغة الفارسية، وقد رحب إقبال برضا بهلوي وإصلاحاته عندما حكم إيران، ولكن عندما بدأ (رضا بهلوي) التقليد الأعمى للغرب، وتبنى المنهج الغربي للحياة يأس إقبال من الزعيم الإيراني[2].

أيضًا في تركيا عندما ظهر الزعيم التركي (مصطفى كمال) وقاد حركة الاستقلال ناصره إقبال، ولكن عندما جرف طوفان الغرب تركيا ونجح في تغيير هويتها، وأعلن (مصطفى كمال) تركيا دولة علمانية[3]، هنا رأى إقبال أن (مصطفى كمال) حاد عن القيم الإسلامية، وبدأ بتغريب المجتمع

---

(١) جب پير فلک نے ورق ايام کا الٹا — آئی يہ صدا پاؤ گے تعليم سے اعزاز
آيا ہے مگر اس سے عقيدوں ميں تزلزل — دنيا تو ملی ، طائر دين کر گيا پرواز
مذہب سے ہم آہنگی افراد ہے باقی — دين زخمہ ہے ، جمعيت ملت ساز ہے اگر ساز
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٤١)

(٢) د. خالد أسدي ، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٤٤

(٣) محمد احمد خان، اقبال کا سياسی کارنامہ، مرجع سابق ص ٧٧، ٩٢

التركي بما سماه (الإصلاحات) تقليدًا للأفكار الغربية[1]، وفي هذا الموضوع كتب إقبال في منظومة (غرة شوال أو هلال العيد) عندما أشار إلى الأتراك الذين آمنوا بالعلمانية برعاية (مصطفى كمال) وقرروا الابتعاد عن الدين:

لقد فرَّق التركي الساذج عباءة الخلافة
فانظر إلى سذاجة المسلم، وانظر أيضًا إلى دهاء الآخرين[2]

هنا عقد إقبال مفارقة بين سذاجة المسلم ودهاء من خدعوه ليتركوا دينه باسم القومية أو الوطنية.

أيضًا في منظومة (العالم الإسلامي) عقد إقبال مقارنة جديدة بين ماضي الأتراك المجيد وحاضرهم المزري عندما ابتعدوا عن الدين فقال:

لقد افتضح الطربوش الأحمر الأقحواني في العالم
والشعب الذي كان عزيزًا قويًا في الماضي أصبح اليوم مجبرًا على الذل[3]

ولسيطرة الفكرة على عقل وقلب إقبال وجه اللوم إلى الأتراك العثمانيين الذين جرهم (مصطفى كمال) إلى تقليد الإفرنج وإتباعهم المنهج العلماني في ديوان (هدية الحجاز) فقال:

صار العثماني أميرًا في بلده
قلبه مطَّلع، وعينه بصيرة
لا تظن أنه وجد الخلاص من قيد الإفرنج
فهو حتى الآن سير في طلسمهم[4]

أيضًا كان إقبال يحب جزيرة العرب بخاصة أرض الحجاز لأنها تحتضن في حشاها الكعبة المشرفة وقبر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وكان إقبال دائمًا ما يذكر دور العرب في نشر الإسلام حين ارتفع صوت آذان المسلمين بكلمة (لا إله إلا الله) وهزيمة عروش كسرى وقيصر بعد أن أصبح العرب بإيمانهم بالله وعقيدتهم الراسخة قومًا لا يقهرون.

---

(١) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٤٢

(٢) چاک کر دی ترک ناداں نے خلافت کی قبا
سادگی مسلم کی دیکھ، اوروں کی عیاری بھی دیکھ
(علامہ اقبال، بانگ درا، مرجع سابق ص١٧٨)

(٣) ہو گئی رسوا زمانے میں کلاہ لالہ رنگ!
جو سراپا ناز تھے، ہیں آج مجبور نیاز
(علامہ اقبال، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٦٠)

(٤) محمد إقبال، هدية الحجاز، مرجع سابق ص ١١٢

ولما رأى إقبال أن العرب قد حادوا عن جادة الحق، وبدءوا ينخدعوا بالأفكار والنظريات الغربية ويقلدون أهل الغرب فأصبحوا مقيدين بأصفاد عبودية الغرب، بدأ يشكو من تفكك العرب ونسيانهم ماضيهم[1].

وهكذا أرسل إقبال رسالة تبليغ للمسلمين أن البعد عن الدين وفساد العقيدة هما سبب تدني حال الأمة الإسلامية، وأن التمسك بالدين هو الحل المنقذ للمسلمين حتى ينير نور التوحيد العالم أجمع.

سادسًا: الأقليات واختلاف الهوية:

عاش إقبال في الفترة التي كانت الهند تئن تحت نير الاستعمار الإنجليزي والتعصب الهندوسي الأعمى لأن الهندوس كانوا أغلبية والمسلمون أقلية، ولأجل القضاء على الكيان الإسلامي في الهند تبنى الهندوس نزعة القومية الهندية، وكان الإنجليز يثيرون حربًا شرسًا ضد المسلمين لأنهم كانوا قد اغتصبوا الحكم بعد أن لقوا المقاومة الشديدة والعنيفة من قِبل المسلمين.

وقد أثيرت نعرة القومية الهندية في شبه القارة الهندية بإيحاء من الإنجليز لإضعاف قوة المسلمين وتشتيت شملهم، وبغية القضاء على كيانهم في الهند حتى لا يعود الإسلام إلى الحكم مرة أخرى فيها، وكان الإنجليز يستهدفون من وراء تلك الخطة إذابة المسلمين في الأغلبية الهندوسية الوثنية باسم الديمقراطية وحكم الأغلبية؛ حيث كانت نسبة عدد المسلمين في ذلك الوقت ١٠٪ من مجموع السكان[2].

ولكن نزعة القومية كانت تفتقر إلى العوامل الأساسية الأخرى مثل العقيدة واللغة والتاريخ، لذا تركزت على عامل الأرض فحسب لأنه كان هناك خلاف جذري بين المسلمين والهندوس من حيث العقيدة والتاريخ والعادات والتقاليد والثقافة أي شتان بين من يذبح البقر ويأكله ومن يعبده ويقدسه، ولكن بعض من زعماء المسلمين آمنوا بنزعة القومية الهندية فانخرطوا في حزب المؤتمر دون إمعان النظر في رعاية حقوق المسلمين السياسية[3].

(١) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٤٥
(٢) المرجع السابق ص ٣٤، ٤٦
(٣) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٤٦

وقد أدت كل تلك الظروف أن يفكر مسلمي الهند في إنشاء وطن قومي للمسلمين في الهند؛ حيث ألمح (سر سيد أحمد خان) إلى نظرية الأمتين سنة ١٨٨٨م في تقرير مشهور ألقاه بمدينة ميرت، ثم توالت الأسماء التي كان لها تصور في تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين، ومن أهم تلك الأسماء (عبد الحليم شرر) و(عبد القادر بلجرامي) و(محمد علي جوهر) و(تشودري رحمت علي). وقد أكدت كل تلك الأسماء أن الهند شبه جزيرة ممتدة المساحة، أنها ليست دولة واحدة وأن الهندوس والمسلمين أمتين مختلفتين، وأن هناك أقاليم يسكنها الهندوس فتسود فيها التقاليد الهندوسية، وأقاليم أخرى يتركز فيها المسلمين بطقوسهم الإسلامية[1]. ورغم كل تلك الأسماء التي فكرت في نظرية الأمتين إلا أن إقبال كان أول من شكَّل فكرة إنشاء دولة مسلمة في شبه القارة الهندية على نحو واضح[2].

اعتمد إقبال في تأسيس نظرية باكستان على فهمه الصحيح للمغزى الحقيقي لهجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة عام ٦٢٢م الذي يكمن في إنكار مفهوم الوطنية المحلية، فمفهوم المجتمع السياسي في الإسلام لا يقبل الجغرافية، ولا العرق المشترك كمعيار صحيح لتحديد مجموعة عرقية، فالأرض ملك لله وهي مسكن مشترك لكل المواطنين، وبإمكان المسلمين أن يعيشوا في أي جزء منها. ويرى الإسلام أن هناك معيارين فقط للمجتمع السياسي، أفراد المجتمع إما أن يكونوا مسلمين أو غير مسلمين، وغير المسلمين جميعًا يشكلون مجتمعًا واحدًا على طرف نقيض من المجتمع المسلم. وبعد هذا التقرير الواقعي فكر إقبال كيف يمكن جمع شمل المجتمع الإسلامي المتفرق، فوجد فكرة جمع الشمل هذه في المفهوم الأساسي للتوحيد، وتجسيده كقوة اجتماعية تعكسها الأخوة في الإسلام المبنية على القرآن والسنة من خلال دولة إسلامية[3].

بذل إقبال مجهودًا عظيمًا للتعريف بهذه الدولة المثالية في ضوء الأيدلوجيات الحديثة، وهو يرفض الديمقراطية الغربية الحديثة لأن الأثرياء هم الذين يسيطرون عليها، ولأنها مبنية على عدم المساواة العرقية وعلى استغلال الضعيف. وفي هذا الصدد نظم إقبال في إحدى فكاهاته وهو يتحدث عن أحوال الهنود الذين اتخذوا الحضارة الغربية مثلًا وقدوة:

(١) محمد احمد خان، اقبال كا سياسى كارنامه، مرجع سابق ص ٨٦٠ ـ ٨٩٧

(٢) مجلة إقباليات العربية، مرجع سابق ص ١١٠

(٣) المرجع السابق ص ١٠٦

جعلوا أساليب الغرب نصب أعينهم
واعتبروا تقاليد الشرق إثمًا[1]

أيضًا في فكاهة أخرى أنشد إقبال:

نحن مساكين الشرق تتعلق قلوبنا بالغرب
فهناك يوجد الإبريق المملوري، وهنا قلة من الخزف[2]

وبناء على ما سبق أكد إقبال أن الدولة المثالية التي ينشدها يجب أن توجد من خلال الإسلام وحده وليس من خلال أي نظام آخر. وهنا نصل إلى مفهوم الدولة القرآنية التي مازالت دولة مثالية لم تتحقق في التاريخ الإسلامي، ولا يمكننا بناء هذه الدولة القرآنية على أساس ولاء جماعي أو إقليمي. وفي هذه الدولة المثالية خلافة الإنسان على الأرض تحقق ذاتها بالاعتراف بأن الأرض كلها (أي وسائل الإنتاج) ملك لله، وبقبول أن واجب الإنسان هو إنتاج الثروة لمنفعة الإنسانية جمعاء[3]. ولتوضيح هذه الفكرة أنشد إقبال في إحدى فكاهاته:

يومًا ما حدثت مشادة بين المزارع والمالك
وكان كلاهما يقول أن هذه الأرض ملكي
وكان الأول يقول أن من يزرع الحقل هو مالكها
ويقول الثاني وا أسفاه هل فقدت صوابك؟
سألت الأرض من يملكك .
قالت لي أنني واثقة من أمر واحد فقط
سواء هو المالك أو الفلاح السيئ الحال
فإن كل من يعيش تحت قبة الفلك هو مِلك للأرض[4]

---

(١) روشن مغربی ہے مد نظر وضع مشرق کو جانتے ہیں گناہ
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٧٦)

(٢) ہم مشرق کے مسکینوں کا دل مغرب میں جا اٹکا ہے واں کنکر سب بلوری ہیں یاں ایک پرانا مٹکا ہے
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٨١)

(٣) مجلة إقباليات العربية ، مرجع سابق ص ١٠٧

(٤) تکرار تھی مزارع و مالک میں ایک روز دونو یہ کہہ رہے تھے مرا مال ہے زمیں
کہتا تھا وہ ، کرے جو زراعت اسی کا کھیت کہتا تھا یہ کہ عقل ٹھکانے تری نہیں
پوچھا زمیں سے میں نے کہ ہے کس مال تو بولی مجھے تو ہے فقط اس بات کا یقیں
مالک ہے یا مزارع شوریدہ حال ہے جو زیر آسماں ہے وہ دھرتی کا مال ہے
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٨٦)

ورغم أن الدولة المثالية هذه كانت حلم إقبال للمستقبل، إلا أن هدفه المباشر كان مصير المسلمين في الحكومة الذاتية التي كانت تتشكل في الهند ببطء[1].

وفي سنة ١٩٣٠ م بدأ إقبال أولى خطواته العملية من أجل تأسيس وطن قومي للمسلمين في شبه القارة الهندية من خلال رئاسته للاجتماع السنوي لحزب الرابطة الإسلامية في إله آباد، وفي هذا الاجتماع ألقى خطبة مسهبة دعم فيها أرائه بحجج من الفلسفة و لاجتماع وعلم الأخلاق ونبه الناس إلى أن اتحاد الهند عسير في هذه الأحوال، ولا سبيل إلى جمع الكلمة إلا باعتراف كل جماعة في الهند بالجماعات الأخرى والتعاون بين الجماعات المختلفة[2].

وقد بدأ إقبال خطابه بالتأكيد على أن (الإسلام باعتباره نظامًا أخلاقيًا بالإضافة إلى كونه نظامًا سياسيًا كان العامل الرئيسي في تشكيل حياة المسلمين وتاريخهم في الهند. وقد خلق الإسلام العواطف والولاءات الأساسية التي وحدت بالتدريج أشخاصًا وجماعات مشتته، وفي آخر الأمر حولهم إلى شعب قائم بذاته يملك حسًا خاصًا به. هل من الممكن أن نبقي على الإسلام من حيث هو نظام أخلاقي ونرفضه من حيث هو حكومة لصالح السياسات القومية التي لا يسمح فيه للموقف الديني أن يلعب أي دور؟ هذا السؤال في غاية الأهمية في الهند حيث يشكل المسلمون أقلية).

وكان جواب إقبال على هذا السؤال هو (يرتبط الجانب الديني في الإسلام ارتباطًا عضويًا بالجانب الاجتماعي الخاص به، ورفض جانب واحد يستوجب في آخر الأمر رفض الجانب الثاني، لذلك فإن إقامة دولة على أساس خطوط قومية هندية هي أمر لا يقبله المسلمون إذا كانت إقامة هذه الدولة تعني استبدال مبادئ التضامن الإسلامي)[3].

وفي تلك الخطبة استشهد إقبال برأي الفيلسوف الفرنسي (ارنست رينان) في القومية حيث رأى رينان (إن الإنسان ليس أسيرًا للجنس ولا الدين ولا لمجاري الأنهار وسلاسل الجبال، ولكن كل جماعة كبيرة من البشر صحيحة العقل حية القلب ينشأ فيها شعور يجعلها تسمى أمة)، أي أن الأمة لا تنشأ بالأقوام والأوطان، ولكن بالشعور الذي يربط آحادها[4] وقد اتفق إقبال مع رينان في ثلاثة نقاط، ولكن اختلف معه في فكرة أن الدين وحدة لا يستطيع أن يشكل أمة لأن إقبال أكد أن

(١) مجلة إقباليات العربية ، مرجع سابق ص ١٠٨

(٢) د. عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مرجع سابق ص ٣٧

(٣) مجلة إقباليات العربية ، مرجع سابق ص ١٠٨، ١٠٩

(٤) د. عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مرجع سابق ص ٣٧

الدين هو روح الإنسان، وأن الروح تحقق التجانس العاطفي و لنفسي الذي يمكن أن يجمع المسلمين في دولة واحده[1].

وقد أكد إقبال أن التجانس العاطفي والنفسي الذي ينتج عن الإرادة في خلق أمة موحدة لا وجود له في شبه القارة الهندية. كان من الممكن أن يتحقق هذا التجانس لو أن (انتقائية) (أكبر)[2] الإدارية والاجتماعية أو (توفيقية) (كبير)[3] الصوفية نجحت في ا ستحواذ على خيال الجماهير العريضة في الهند، ولكن هذه التجارب رفضتها مجموعة دينية كبيرة وتركيبة المجتمع الهندوسي أيضًا[4]. ولخلق هذا التجانس النفسي ثمنًا يأبى أهل الهند أن يؤدوه؛ حيث ينبغي ألا نلتمس اتحاد الهند في محو الفوارق بين الجماعات، بل نلتمسه في الاعتراف باختلاف الجماعات والعمل للتعاون بينها.

وتأكيدًا لفكرة أن القومية لا تبني مجتمعًا، وأن هناك استحالة في تآلف مسلمي شبه القارة الهندية مع المجتمع الهندوسي ألقى إقبال خطبة ثانية في المؤتمر الإسلامي حينما تولى رئاسة اجتماعه السنوي سنة ١٩٣٢م قال فيها (أنا لا أقبل الوطنية كما تعرفها أوربا، وليست أفكاري إياها خوفًا من أن تضر بمصالح المسلمين في الهند، ولكني أنكرها لأني أرى فيها بذور المادة الملحدة، وهي عندي أعظم خطرًا على الإنسانية في عصرنا. ولا ريب أن الوطنية لها مكانها وأثرها في حياة الإنسان الأخلاقية، ولكن العبرة في الحقيقة بإيمان الإنسان وثقافته وسننه التاريخية. هذه هي في رأيي الأشياء التي تستحق أن يعيش لها الإنسان ويموت من أجلها لا بقعة الأرض التي اتصلت بها روح الإنسان اتفاقًا)[5].

وفي هذا الموضوع أنشد إقبال في إحدى غزلياته للتأكيد على وجوب تقسيم الهند إلى أمتين:

---

(١) مجلة إقباليات العربية ، مرجع سابق ص ١١٠

(٢) هو أكبر بن همايون ثالث سلطان مغولي حكم الهند (١٥٥٦م – ١٦٠٥) هدته قريحته بمعاونة وزيره إلى ابتكار مذهب جديد يضم كل ما هو حسن في سائر العقائد ويُسمي (مذهب أكبري)، وقد كان هذا الدين خليطًا من الإسلام =>
=والهندوسية، ولم يخل أيضًا من عناصر مجوسية ومسيحية، وفي هذا الدين امتزج التصوف بالفلسفة والعبادات (شيخ محمد اكرام، رود كوثر، تاج كمپنى، نئى دہلى ص٨٧)

(٣) هو كبير داس شاعر صوفي وقديس هندي وكاتب (١٤٤٠م – ١٥١٨م) أثرت كتاباته بشكل كبير على حركة بهكتي؛ حيث حاول توفيق الهندوسية والإسلام عن طريق التبشير بمذهب عالمي يسطيع فيه كل من الهندوس والمسلمين التعامل مع بعضهم البعض (كبير) ٢٥ يونيو ٢٠١٦ htt :/ar/wikipedia.com

(٤) مجلة إقباليات العربية ، مرجع سابق ص ١١٠

(٥) د. عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مرجع سابق ص ٣٨

لقد شيد المعمار العربي بناء الملة بأسلوب متفرد في هـ ـا العالم
فأسس دائرة ملتنا لا تقوم على وحدة الوطن[1]

وهكذا دعا إقبال إلى تقسيم الهند ليكون للمسلمين بها وطن يخ سهم إذ رأى أنه من المحال أن يعيش سكان الهند جماعة واحدة أو جماعتين متعاونتين[2]. ولا نعرف شاعرًا أو أديبًا يرجع إليه الفضل في تأسيس دولة وتهيئة النفوس بها مثل ما يرجع إلى هذا الشاعر الإسلامي، فالدول تسبقها الثورات الفكرية والتذمر من الحاضر والتطلع إلى المستقبل والقلق الـ فسي، فإذا تم هذا كله ونضج قامت دولة، فإذا كان شعر قد أحدث ثورة فكرية كانت سبب الانتقال من حياة إلى حياة ومن وضع إلى وضع وأقام دولة فهو من غير شك شعر إقبال. وهكذا أصبحت باكستان العزيزة مدينة بقيامها إلى روح هذا الشاعر العظيم الذي أوقد في قلوب مسلمي شبه القـ رة الهندية جذوة الإيمان بهذه الحقيقة، وما بقيت روح إقبال مشتعلة في قلوب مسلمي باكستان فستبـ ـى هذه الأمة الغالية رمزًا لهذه الحقيقة الخالدة[3].

ولم يكتف إقبال بإقامة دولة للمسلمين في الهند، بل وضَّح أن قوائم تلك الدولة يجب أن تعتمد على الحداثة مع الالتزام بأساسيات الإسلام؛ بحيـ ث لا تنزلق تلك الدولة إلى الثيوقراطية التي تتسم بالتعصب، ولا إلى العلمانية كما هو الحال في تركيا، ومضى يقول (من الدروس التي تعلمتها من تاريخ المسلمين أنه في اللحظات الحاسمة من تاريخهم فإن الإسلام هو من أنقذ المسلمين وليس العكس). كما أكد أن إنـ شاء دولة مسلمة مستقلة في الهند هو الحل المعقول والوحيد من أجل المسلمين، ومن أجل السلام في الهند.

ثم زادت آمال إقبال فرأى أن الاعتراف بباكستان يمكن أن يـؤدي إلى تعاون المجتمعين الكبيرين، حيث أن للتضامن الهندوسي علاقاته الثقافية مع العالم الـ بوذي في شرق وجنوب شرق آسيا، في حين أن للتضامن الإسلامي روابطه السياسية والدينية مع الـ رق الأوسط، فالهند هي آسيا مصغرة[4].

(١) نرالا سارے جہاں سے اس عرب کے معمار نے بنایا بنا ہمارے ہ صار ملت کی اتحاد وطن نہیں ہے
(علامہ اقبال ، بانگ درا، مرجع سابق ص ١٣٣)
(٢) د. عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مرجع سابق ص ٣٩
(٣) د. خالد أسدي، محمد إقبال مرجع سابق ص ٩٣
(٤) مجلة إقباليات العربية ، مرجع سابق ص ١١٠

من هنا كان محمد إقبال هو في الواقع مصور الدولة الإسلامية في شبه القارة الهندية حينما قدم خريطة هذه الدولة وقام بتحديد حدودها، فقامت دولة باكستان الإسلامية وأضيفت دولة جديدة قوية إلى دول العالم الإسلامي[1]. وليس غريبًا أن تظل منظومة (أنشودة الدين) لمحمد إقبال أنشودة تتردد على لسان أطفال باكستان حتى الآن[2].

تلك كانت أهم قضايا العالم الإسلامي التي أدركها الشاعر محمد إقبال فصورها في أشعاره بعد أن اختمرت في أفكاره، فكان بمثابة الطبيب الذي قام بتشخيص الأمراض ووصف الدواء للأمة الإسلامية حتى تستطيع النهوض من كبوتها وتخطي عثراتها واللحاق بمصاف الدول المتقدمة.

تم بحمد الله،،،

(١) د. خالد أسدي، محمد إقبال، مرجع سابق ص ٤٩

(٢) يوسف سليم چشتي، شرح بانگ درا، مرجع سابق ص ٢٨٧

المصادر والمراجع المستخدمة

أولًا: المصادر والمراجع العربية:

١- إيوان إقبال، مختارات من شعره نظمها شعرًا الصاوي علي شلان، اللجنة الباكستانية المصرية للاحتفالات المئوية بذكرى إقبال ١٩٧٧

٢- د. خالد أسدي، محمد إقبال – قصائد مختارة ودراسات، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠١٢

٣- د. عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مطبوعات باكستان، د.ت.

٤- محمد إقبال، ديوان ضرب الكليم، ترجمة: جلال السعيد الحفناوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢

٥- محمد إقبال، هدية الحجاز، ترجمة د. سمير عبد الحميد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢

ثانيًا: المصادر والمراجع الأردية:

- محمد أحمد خان، إقبال كا سياسى كارنامه، اقبال اكادمى، لاہور ١٩٧٧
- محمد اقبال، بانگ درا، Dr.A.Q.Khan, NI& 3ARmHI, Chairman, Rawalpind
- شيخ محمد اكرام، رود كوثر، تاج كمپنى، نئى دہلى ١
- يوسف سليم چشتى، شرح بانگ درا، تيسرا اديشن، عشرت پبلشنگ ہاوس ١٩٥٢

ثالثًا: الدوريات:

- مجلة إقباليات العربية (العدد العربي الرابع ٢٠٠٣) إشراف الأستاذ محمد سهيل عمر، أكاديمية إقبال باكستان.

رابعًا: المواقع الإليكترونية:

١- (الاستعمار) ٢٠١٦/٨/١ www.tassilialgerie.com

٢- (التحديات التي تواجه الإسلام في العصر الحديث)، ثقافتنا، العدد ٨، فكر إسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، ١٤٢٨، ٢٠١٦/٨/١ irarab.com

٣- (كبير) ٢٥ يونيو ٢٠١٦ http:/ar/wikipedia.com

٤- (محمد إقبال) 21/6/2016 www.ur.wikipedia.org

٥- (من تصفية الاستعمار التقليدي إلى الهيمنة الأحادية والتوا طؤ الدولي) ٢٦ أكتوبر ٢٠١٥ https:/netency.blogspot.com